متى ينتصر المسلمون..!؟

تأليف الشيخ

عبد العزيز بن عبد الرحمن المسند

فهرس الموضوعات

صفحة الموضوع

١٥ .... مقدمة
١٦ .... منهج البحث
١٧ .... بين يدى البحث
٢٠ .... الفئة القليلة تغلب الفئة الكثيرة:ـ
(عدم رغبة الاسلام فى الحرب ـ هدف القتال عند المسلمين شريف ـ اهمية القيادة ـ مدافعة الامم لبعضها ارادة الاهية ـ المسلمون لا ينصرون إلا اذا عملوا بدينهم.
٢٧ .... مقاييس النصر..
(اهمية التخطيط الحربى واختيار الزمان والمكان ـ سلامة الهدف عامل مهم فى

صفحة

المعركة ــ على المحاربين اجتناب معصية الله وعدم الظلم ــ طاعة الاوامر والتقيد بالبرنامج وكلمات السر واجب ضرورى ــ القتال له حدود وهى تحقيق عبادة الله وحده علنا.)

٤٨ .... الصدق عند اللقاء نتيجته النصر:ــ
(الشورى عامل اساسى للنصر ــ تمحيص الجيش قبل المعركة ــ ضرورة الاجراءات الفورية حسب مقتضى الحال ــ الموت فى سبيل الله خير من الدنيا ومافيها.)

٦٤ .... تكالب الامم على المسلمين:ــ
(قبول الرأى الصائب ممن يحمله ولو لم يكن قائدا أو وجيها ــ دور المرأة فى الحرب ــ خطورة المنافقين وافسادهم لخطط المسلمين ــ الكفر كله ملة واحدة فى كل زمان ومكان. حذيفة بن اليمان يعيش بين الاعداء فتحصل له الجنة. النصر للمسلمين مهما طال الزمن.
صفات المؤمنين الذين يستحقون النصر ــ شكر النعمه سبب من اسباب النصر ــ)

صفحة

٨٤ ...... اعانة المظلومين سبب للنصر:ـــ
(التجهيز الحربي ـــ التردد والخور صفات لايتصف بها المسلمون ـــ صفة المحارب المسلم صفة متميزة ـــ سقوط المظاهر والشعارات ـــ اذا تقابل الخير والشر فالغلبة للخير حتما ـــ)

٩٢ ......الجهاد والهجرة فى سبيل الله:ـــ
(معنى الجهاد فى الاسلام ـــ فضل المجاهدين ـــ الهجرة جهاد ـــ استصحاب طاعة الله فى الجهاد ـــ اسامة بن زيد ولا إله الا الله ـــ غزوة تبوك ـــ التجنيد الاجبارى ـــ تكوين مجتمع اسلامى مستقل لتطبيق النظام الاسلامى ـــ صلاة الخوف تنظيم حربى ـــ رهبان بالليل اسود بالنهار.

١٠٧......معاملة الاعداء ـــ غير المؤمن أشر الدواب ـــ لاحرمة لغير المؤمنين ـــ نقض العهد جريمة ـــ تأديب الاعداء ـــ انتهاز الفرصة ومبادأة العدو أمر مطلوب ـــ من هى الدولة الكبرى ـــ جلسة فى الأمم المتحدة ونزع السلاح ـــ الاعداد الحربى ـــ عدم الاعتماد على

صفحة

الدول الكافرة ـ السرية والحذر من المنافقين ـ
مشاركة جميع المسلمين فى الانفاق على الاعداد الحربى ـ السلم والمصالحة ـ اشتراك المدنيين مع العسكريين فى القيادة والرأى ـ أيهما أفضل الدفاع أو الهجوم.)
يجب الا ينخدع المسلمون بحيل اعدائهم ـ العقيدة توحد بين الناس ـ شجاعة المسلم تدك الجبال وترهب الاعداء.
هجمات الزبير بن العوام ـ مشاهدة فى فلسطين.

١٢٧ ...... المقاييس الحربية:
القرب والمحبة والموالاة ـ الاغترار بالقوة أو العدد سبب للهزيمة.
من لم يتمكن الاسلام من قلبه لايصلح محاربا ـ اذا وقع البلاء عم ـ غربلة الجيش قبل بدء المعركة ـ عدم الاغترار بنعمة الله.

١٣٦ ...... النفير إلى الجهاد وصفات المجاهدين:
الكفر كله ملة واحدة ـ النفير الى الجهاد.

صفحة

الجهاد واجب على كل فرد اذا دعا الداعى
ـ للحكام الزام الناس بالجهاد ـ حكمة
تأخر نصر نبي الله محمد.
١٤٠...... مصادرة المشركين لرسول الله ـ انواع النصر
وامكان حدوث النواد ر فى الحرب ـ
خطورة المنافقين.
١٤٣ ...... من هم المنافقون؟
١٤٧ ...... أعداء المسلمين
من لم يكن معنا فهو عدونا..! مثالية الحكام
والقادة أمر مهم فى الحرب ـ
١٥٠. ..... المسلمون واليهود.
القدس ـ الفتح الاسلامى للقدس ـ
القدس فى عهد احتلال الصهاينة.
احوال المسلمين واليهود وعد بلفور المشهور ـ
بريطانيا تقيم الدولة اليهودية ـ
نفير اليهود ـ هجرة اليهود الروس ـ الجولة
الثانية مع اليهود ـ شجرة الغرقد (العوشز).
١٦٨........ دفاع الله عن المؤمنين ـ سر تخلف النصر
عن المؤمنين ـ النصر المحتوم ـ مبادىء
الجهاد فى الاسلام..

صفحة

تدافع امريكا وروسيا وتعارضهما ــ الصين مهماز ــ بين الدولتين.
تضرر العالم بتخلف المسلمين عن القياده ــ تقييم المؤمنين

١٨٠.......النصر للمطالب بحقه المغتصب:
المعركة التى ينتصر فيها المسلمون ــ صفات المجاهدين.

١٨٥....... المسلمون أشداء في الحرب:
تقييم الخالق وتقييم المخلوق.
رهبان بالليل اسود بالنهار ــ متى تضر الرقاب ــ التنظيم الإلهى ــ الجندى المسلم قديماً وحديثاً ــ

١٨٨....... الحرب ابتلاء وحكمة ــ المحاربون فى سبيل الله، معنوية الجندى المسلم.

١٩١.......لماذا لا ينتصر المسلمون ــ قوة الايمان المبنية على قوة الله تغلب القنابل والصواريخ ــ القوة تحصل بالعمل. متى ينهزم غير المسلمين.

١٩٧....... الكفر كله ملة واحدة:
اذا غير الناس ما بأنفسهم غير الله عليهم ــ

صفحة

سبب محبة الله للمؤمنين وعقابه للكافرين.
اتحاد اعداء الاسلام ضد المسلمين ــ ضحك اليهود على النصارى ــ ليس للكافرين شجاعه.
الاسلام لا ينظر للعرق ولا للون ــ اذا اسلم ألد اعداء المسلمين صار أخاً لهم له مالهم وعليه ماعليهم فور إسلامه.
الدبابات والطائرات حصون يختفى وراءها الجُبناء.
٢٠٣ ......حقيقة الموالاة ولمن تكون ــ التعامل مع غير المسلمين جائز وليس من الموالاة ــ
الايمان لازم للجهاد والمجاهدين ــ لين الاعداء لا تدل على اخلاقهم ومحبة المسلمين.
٢١١ ......خــــــــــــاتمة..

متى ينتصر المسلمون

سؤال يرتسم على كل شفة ... ويتردد في كل ذهن .. ويتبعه أسئلة عن حال المسلمين . وعلاقتهم بغيرهم ومستقبلهم .. وقد حاول المؤلف أن يجيب عن كل هذه الأسئلة.

تأليف الشيخ

عبد العزيز بن عبد الرحمن المسند

متى ينتصر المسلمون

مقدمة

((متى ينتصر المسلمون ..؟ سؤال يرن في اذن كل مسلم، و يشغل بال المهتمين بشئون المسلمين. و يقلق بال اعداء الاسلام الذين يتخوفون الإجابه عن هذا السؤال، و يدركون أن انتصار المسلمين يرفع يدهم عن قيادة العالم ... وحينما كان المسلمون ينتصرون في احوالهم ومجتمعاتهم وحروبهم كان هذا السؤال يقلق الأعداء وحدهم.!

أما اليوم وقد تخلى المسلمون عن مكانهم، وفقدوا النصر في كثير من حروبهم فقد بات هذا السؤال يشغل بال المسلمين. و بعد تفكير في تحرى الجواب يدخل الشك الى نفوس بعضهم، و يدخل اليأس الى عدد منهم..

واني بهذا سأجيب عن هذا السؤال واذكر

متى ينتصر المسلمون وأحدد الوقت والكيفية التي ينتصرون بها على أنفسهم وأعدائهم.

وهم بعد ذلك احرار في سلوك طريق النصر. أو الرضا بالهوان والقعود في مؤخرة العالم ..

منهج البحث ..!

سأورد كل ماورد في كتاب الله تعالى من آيات النصر وأقف عند كل آية أو مجموعة آيات مستوحيا الطريق، ومستلهما الصواب. ثم اعقب ذلك بما عرفت من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموضوع. منتهيا الى وضع يد المسلمين على بداية الطريق الى النصر والمقارنة بين مااراد الله لهم أن يكونوا عليه وبين ماهم عليه الآن.

وقد اجتهدت في أن اجعل كل موضوع مستقلا بنفسه لتحصل منه الفائدة للقارىء اذا اقتصر عليه وحده، وإن قرأ الباقي كان خيرا له.

واوردت النص القرآني للبركة والاستدلال واكتفيت بالاستنباط الظاهرى من الآيات بعد التمعن والتفكير فيها دون أن أرجع الى المفسرين. ذلكم أنني كتبت هذا البحث في «برمنجهام في بريطانيا» في رمضان المبارك عام (١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م) دون أن يكون لدى أى مرجع — وقد ذكرت ذلك لابرهن على أن المسلم المجيد للعربية والعارف بأصول الدين يستطيع أن يفهم كتاب الله دون عناء..

بين يدي البحث ..!

يحار الفكر و يرتد البصر خاسئا حسيرا عندما يتقلب في النظر في أحوال المسلمين ومجتمعاتهم، فيسأل نفسه هل هؤلاء هم المسلمون الذين اصلحوا العالم وغيروا وجه التاريخ، بقيادة محمد بن عبد الله وخلفائه واتباعه الصادقين ..؟!

ولايملك المسلم بعد أن يرفض عرقا و يذوب خجلا من رب المسلمين الا أن يعترف بواقع المسلمين وأنهم زهدوا بما كان عليه رسول الله صلى

الله عليه وسلم وأصحابه أو لم يستطيعوا الاخذ به لأى سبب من الأسباب.

وهنا يزول العجب و يتحول الفكر الى البديل والبحث عن المخرج. ونحن مع كل مانعترف به من واقع المسلمين نسجل حقائق لابد منها لمن يبحث عن النصر:—

الاولى : ان من الانصاف أن نفصل بين الاسلام كجوهر ثمين جاء من عند الله وسيبقى كذلك الى قيام الساعة، و بين من يأخذ به و يؤمن به و يعمل ببعضه و يترك بعضه ... ونؤكد أن تصرفاتهم وافعالهم الشخصية لا تكون حكما على الاسلام، ولايوصم الاسلام بها فهو شيء وهم شيء آخر.

الثانية : انه وان ران على المسلمين ضباب أو خيم عليهم غشاء من الشك واليأس فان فئة قليلة منهم لا تزال تملك جذوة الايمان وتتألم من واقع المسلمين، وتدير وجوه الرأى لتبدأ طريق خلاص المسلمين من ورطتهم ورجوعهم الى ربهم واستدراك مافاتهم من اماكنهم التي هى قيادة العالم وارشاده

الى الخير والسلام وتخليصه من مشكلاته وعيشه بسعادة وهناء.

الثالثة : ان انتصار المسلمين حاصل لامحالة طال الأمد لذلك أو قصر — ومن يشك في هذه فليس بمسلم كامل وليس بمدرك لتاريخ المسلمين — وذلك لان الله رضى الاسلام وحده دينا لعباده اجمعين وسينصر دينه و يعلى كلمته التى هى العليا دائما وابدا.

ولكن ..! من هم المسلمون الذين سينتصرون ..؟

وماهى صفاتهم ..؟وماهى جنسياتهم ..؟وماموطنهم ..؟

وفي أى ساعة يكون النصر ..؟

الاجابة عن هذه الاسئلة هي التي سنحاول ابرازها في هذا البحث ... ومن الله نستمد العون، ونستلهم الصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل ..؟

عبد العزيز المسند

الفئة القليلة تغلب الفئة الكثيرة ..!

(ألم ترَ إلى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا ألاّ نقاتل في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين(٢٤٦) وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يُؤتَ سَعةً من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم(٢٤٧) وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين(٢٤٨) فلما فصل طالوتُ بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لاطاقة لنا اليوم بجالوتَ وجنودهِ قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين(٢٤٩) ولما برزوا لجالوتَ وجنودهِ قالوا ربنا أفرغْ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم

الكافرين(٢٥٠) فهزموهم بإذن الله وقتل داودُ جالوتَ وأتاه اللهُ المُلكَ والحكمةَ وعلمه مما يشاء ولولا دفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهُم ببعض لفسدت الأرضُ ولكن الله ذو فضل على العالمين (٢٥١) تلك آياتُ الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين(٢٥٢) سورة البقرة.

هذه معركة من المعارك الفاضلة صور القرآن اسبابها ودوافعها وكيف بدأت وكيف كانت نفسيات المحاربين ثم بين النتائج .. وهى نموذج وخطة حربية ضربها الله للمسلمين ليقتدوا بهما وقد اشتملت على المبادىء التالية:

١ ــ المبدأ الثابت في الاسلام عدم طلب المسلمين للحرب والسعى إليها الا اذا اضطروا اليها واصبحت هى الطريق الوحيد لسلامتهم وحفظ كيانهم ورد اعتبارهم. **(قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا).**

٢ ــ القتال لابد له من هدف شريف معترف به واهم ذلك الدين والوطن والمال والولد والعرض **..(قالوا ومالنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا.)**

٣ ــ طلب القيادة ممن يملكها وذكر صفتها ومؤهلاتها وبحث كفاءتها وابداء الرأى في صلاحيتها من الجيش نفسه ثم التسليم لها عند الاقتناع بعد المناقشة وهنا تكون طاعتها لازمة والامتثال لأوامرها امرا محتوما. **(اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) (قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ..)**

٤ ــ اختبار القائد امر مهم فيجب أن يكون مؤهلا تأهيلا تاما بالعلم بشئون قيادة البشر وامور الحرب عالما بدينه من اسرة محترمة متميزا عن غيره بصفات كثيرة بدليل طلبه من النبى وقول نبيهم لهم **(ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) (ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم)** وتاكيد ذلك بالعلامات المؤيدة لقيادته. واذا توفرت فيه هذه الصفات فذلك من اول بشائر النصر.

٥ ــ عزل الجند في مكان مستقل لتربيتهم تربية خاصة وتعويدهم على الكر والفرومعرفة استعدادهم لخوض المعارك. وتبدأ التربية بتثبيت الدين وقوة الايمان ثم باللياقة البدنية والشجاعة النفسية. **(فلما فصل طالوت بالجنود).**

٦ ـ امتحان الجند وصقل مواهبهم وغربلتهم أمر مهم فى الاسلام وليس مجرد اكتتاب أو وظيفة وقد جرى فى هذه المعركة امتحان شديد فى أحلك الظروف واشدها على النفس حيث اجتمع لها الخوف والجوع والعطش فاتى الامتحان مؤلما فاحصا للعقيدة والثبات فحينما بلغ العطش مبلغه فى الجند ابتلوا بنهر حلو بين ايديهم ولكن قائدهم امرهم بعدم قربان النهر والابتعاد عنه وان ذلك اختبار لصبرهم وطاعتهم المطلقة لقائدهم مع التسليم وعدم التردد. ثم سمح لهم بان يتناول كل واحد منهم غَرْفَةً واحدة بيده فقط ....

وتركهم يذهبون الى النهر ويختار كل منهم النجاح او السقوط فى الامتحان وهو اختبار له ماوراءه فكانت النتيجة سقوط كثير منهم ولم ينجح الا القليل ..(**قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم**) و يقال ان جيش طالوت كان ثمانين الف ولم يبق منه سوى عدد قليل وقد اورد البخارى حديثا عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال ..

كنا نتحدث ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين كانو يوم بدر ثلاثمائه وبضعة عشر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر وماجاوزه معه الا مؤمن.

٧ ـ الصفوة المختارة بعد الابتلاء والامتحان الشديدين هى التى تصلح للقتال وهى التى تتقدم للمعركة وتشتبك مع الاعداء ولا عبرة بالكثرة غير الصالحة فما دامت اظهرت عصيانها وعدم احتمالها للمحن والشدائد فانها اثبتت عدم صلاحيتها للحرب ولذلك ترك القائد الكثيرين ولم يلتفت لهم ويجتاز بالخلاصة النهر مقبلا على العدو(فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه)

٨ ـ المواقف الرهيبة وتزلزل العقول امر معتبر فى الحرب عند المسلمين ويجب اخذ الحساب له ولابد من تطمين الجند وتحكيم عقلائهم وأقوياء الايمان منهم حتى يقتدى بهم الباقون.

(قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) وهنا يبرز الايمان وينتصر حزب الرحمن ويثبت ويبقى ويسيطر(قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) فهذه أصول حربية يجب ان تتوافر

في الجيش المحارب ايمان واعتماد على الله وصبر وثبات. ومعايير حقيقيه فليس المعيار للقوة ولا النصر للكثرة، ولكن القلة مع الايمان والصبر والثبات يكفي و يعوض عن الكثرة .. وهذه نظرية معروفة في المبادىء الحربية فكم من عدد قليل انتصر على عدد كثير بعون الله وتوفيقه اذن فلدى المسلمين تقيم للجيش. وتعريف للمحاربين ..

وكل ذلك يرجع الى الايمان الذى لا تزعزعه الاصول و يثبت ثبات الراسخات من الجبال..

٩ ــ ساعة الصفر واللحظات الحرجة ولحظة المبارزة كيف يكون شعور المحارب المسلم فيها وكيف يتصرف. انه يلتجىء بكل قلبه الى بارئه و ينسى كل ماوراءه من المال والولد و يتصور انه امام ربه يكلؤه ان حيي و يفرغ عليه الوانا من الصبر تفوق المحسوس وتثبت اقدام المؤمنين وان مات المؤمن فله الرحمة فهو لن يعدم احدى الحسينين وكلاهما هدف شريف وغاية مرغوبة للمؤمن. واهم مافي هذه الساعة الصبر الذى يسقط دونه كل فكر و يسهل كل صعب،

ويدل على الشجاعة. وثبات القدم نوع من الصبر دافعه الايمان والاعتقاد بالنصر (**ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين**).

١٠ــالهدف المحبب الى النفوس هو النصر وقد كانت نتيجة هذه الحرب انتصار جند الله الذين آمنوا به والتجئوا اليه وصبروا وثبتوا وأطاعوا رؤوساءهم ..

(**فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت**).

١١ــمدافعة الامم لبعضها أمر أراده الله عز وجل حتى لا تقع الحروب وتفسد الارض وتضيع مصالح البشر فلو أن أمة سادت وحدها ولم توجد امة ضدها لسيطرت على العالم وأقامت الحروب في كل الدنيا ولكن الله يدفع بعضهم ببعض فتخاف هذه الأولى من الدولة الثانية وينجي الله الدول الاخرى بسبب تماس وتماسك هاتين الدولتين.

(**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين..**)

١٢ــوخلاصة هذه المعركة العظيمه درس للمسلمين وهذا الدرس هو انهم لاينصرون لانهم مسلمون

فقط. ولا ينصر جيشهم لانه يتسمى باسم الاسلام. فاذا لم يعمل المسلمون بدينهم ولم يتخذوا اسباب النصر بانفسهم واحوالهم فلن ينصروا. واذا تخلوا عن دُينهم فهم وغيرهم سواء. وحينئذ الغلبة للسلاح وليس لحامليه.. وهو مايجرى في زماننا هذا فان الحاصل في اكثر معارك المسلمين مع اعدائهم ان كل القيم التى ذكرنا لا تأخذ دورها في اعداد العدة من المسلمين بل يهتمون بالعدد والسلاح، و يعتمدون على دولة اخرى تناصرهم او تؤ يدهم .. ولذلك تخلفت النتيجة عنهم .. ولم يحصل لهم النصر .. ولاعجب ولا اشكال في ذلك فالامر واضح بين. وكل ياخذ لنفسه بما يريد ..

مقاييس النصر :

(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون(١٢٢) إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين(١٢٣) بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم

بخمسة آلاف من الملائكة مسومين(١٢٤) وماجعله الله إلا بشرى ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم(١٢٥) ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يَكْبِتَهُمْ فينقلبوا خاسرين(١٢٦))

سورة آل عمران ..

(كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون (٥) يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون (٦) وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين (٧) ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون (٨) اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين (٩) وماجعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إنّ الله عزيز حكيم (١٠) إذ يغشيكم النعاس أمنةً منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام (١١) إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب

الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان (١٢) ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإنّ الله شديد العقاب (١٣) ذلكم فذوقوه وإنّ للكافرين عذاب النار (١٤) ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار (١٥) ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير (١٦) فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً إنّ الله سميع عليم (١٧) ذلكم وأنّ الله موهن كيد الكافرين (١٨) إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين (١٩) ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون (٢٠) وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإنّ الله بما يعملون بصير (٣٩) وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم المصير (٤٠) واعملوا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير (٤١) إذ أنتم

بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن لِيقضِيَ الله أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بَيِّنَةٍ ويحيا من حيى عن بَيِّنَةٍ وإن الله لسميع عليم (٤٢) إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سَلّم إنه عليم بذات الصدور (٤٣) وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور (٤٤) ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون (٤٥) وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصابرين (٤٦) ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط (٤٧) سورة الانفال.

قصة بدر معروفة ومشهورة لدى المسلمين جميعا. ونحن هنا لن نعنى بالسرد التاريخى او ذكر المواقع او الرجال او تفاصيل سير المعركة. ولكننا سنركز على مايهمنا منها وهو الاسباب والصفات والاعمال المؤدية الى النصر .. وهو مايخص بحثنا هنا ..

١ ــ موقعة بدر ارادة الهية ارادها الله ليحق الحق ويبطل الباطل ويوهن كيد الكافرين ولم يكن يريدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه .. بل خرج رسول الله بريد عيراً لقريش عائدة من الشام ليثبت وجود المسلمين الذين لم تكن قريش تعبأ بهم (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولوكره المجرمون.)

٢ ــ الهدف الأسمى متحقق في معركة بدر فقد كان اول الامر دفاعا عن النفس من اعتداء قريش على حدود المدينة. ثم هو تقوى ولتكون كلمة الله هى العليا ويكون الدين كله لله. فهم مؤمنون. وهم ناصرون لدين الله، وهم قد رضى الله عنهم واعداؤهم قد غضب الله عليهم فقد عاندوه وشاقوه فالفرق بين الحزبين شاسع

والاهداف مختلفة ..

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله)

(كما اخرجك ربك من بيتك بالحق)

٣ ــ صلاح الجند متحقق هنا فالجند هم اصحاب رسول الله . والقائد قد توفرت فيه الشروط فهو نبى الله وهو الصالح بنفسه الداعى لاصلاح البشرية، وقد خلط نفسه بجنده فلم يوفرها ولم يعطها ميزه عن سواها. وهو مع ذلك بشر لم يكن يعلم ما سيحدث حينما نادى في اصحابه الحاضرين ولم يعد للحرب وخرج ولم يكن يظن انه يدخل حربا.. وحينما بدت تباشير الحرب وقف في صعيد طيب يبث اصحابه ما في نفسه و يطلعهم على كل الامر دون خفاء، و يعلمهم أن أبا سفيان قد غير طريق العير وانه بعث لقريش يطلب النفير وقد تقع حرب فمن اراد من الجند العودة فله ذلك. ثم ترك اصحابه يفكرون واهتم بآرائهم واستمع لصغارهم وكبارهم وعندما أكد له أهل الرأى والحكمة فيهم انهم سيسيرون معه ولو رمى بهم

البحر تقدم وجهة معاكسة للمدينة وهو لايدرى ماالله صانع. اذن فالصلاح متوفر والهدف شريف والشورى معقودة في اوضح صورها.

(كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون).

٤ ــ التخطيط الحربي واختيار المكان الصالح وقبول الآراء من الجنود انفسهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم. عندما علم بمسير قريش اليه وقد اجمعوا كيدا وتوعدوا وارغوا وازبدوا. استشار اصحابه فسارعوا الى بدر لانها المكان الذى فيه ماء. وعندما نزل فى ادناها جاءه جندى يقال له (الحباب بن المنذر) فقال له يارسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا منه بد أم هو الرأى والحرب والمكيدة.؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو الرأى والحرب والمكيدة. قال الحباب اذن ليس هذا لك بمنزل.والرأى ان تنزل فى اعلى بئر مما يلى القوم وتغور الآبار فنشرب ولا يشربون.!

فنزل رسول الله عند رأيه وغير منزله وبنى

حوضا على البئر الكبيرة ودفن الآبار الاخرى .. وكان المنزل فى اعلى العدوة الدنيا التى تلى المدينة والوادى بين الفريقين .. ثم اختير لمكان القيادة مكان مناسب يشرف على كل الاماكن فبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه عريش وعين الحرس ومساعدو القائد. ونظم الجيش مقدمة وميمنة وميسرة.. ومشاة وقادة للسرايا. ومبارزين .. (**اذا انتم بالعدوه الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد**).

٥ ـ الايمان التام والاخلاص لله تعالى والتوجه اليه وحده عامل مهم يبدأ من القائد وهو المهم ثم الى آخر جندى من المحاربين فقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ((لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه وهم ثلاثمائه ونيف ونظر الى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال (اللهم انجز لي ماوعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا

تعبد فى الارض ابدا) قال فما زال يستغيث ربه حتى سقط رداؤه عن منكبه فأتاه ابو بكر فاخذ رداءه فرفعه ثم التزمه من خلفه ثم قال: يانبيّ الله كفاك مُناشَدتك ربك فانه منجز لك ماوعدك فانزل الله عز وجل (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممددكم بألف من الملائكة مردفين) فلما كان يومئذ التقوا فهزم الله المشركين فقتل منهم سبعون رجلا وأُسِرَ منهم سبعون رجلا

٦ ــ تقوية الروح المعنوية للجيش امر مهم وعامل قوى من اسباب النصر وكانت معنوية الجيش الاسلامى فى بدر لديها كل دواعى الضعف لانهم لم يخرجوا يريدون حربا. ولان عددهم قليل، ولانهم جروا الى الحرب من اعدائهم راغمين .. ولذلك لجئوا الى الله يطلبون منه العون وقوى روحهم بامور كثيرة منها معنوية تصل الى المحسوس ومنها محسوس كان مستحيلا لولا القدرة الالهية .. فمن ذلك انه أوحى الى رسوله انه تعالى سيمدهم بالملائكة

اذا بدأت الحرب وصبروا و بقوا على ايمانهم واخلاصهم و بقى عدوهم على ضلاله و بطره واصراره على دخول الحرب .. وهذا يعطينا مبدأ من المبادىء هو ان حال العدو وتصرفاته امر معتبر فى التنظيم الحربى حتى اول لحظة من بدء الحرب. وهذا المدد هو بشرى وطمأنة للقلوب والا فالمعول على عون الله وارادته..

ومنها ايحاؤه لنبيه ووعده له أن احدى الطائفتين ستكون للمسلمين و يبلغ رسول الله جنده بذلك. ومنها اصابتهم بالنعاس حتى يهدأ روعهم و يذهب خوفهم وهو امر لايقوى عليه الا الاله وحده وهنا ذهب الخوف من انفسهم بينما اصاب الله قلوب اعدائهم بالهلع والارتجاف والخور والاختلاف وذهاب سيطرة القيادة ... ومنها رؤ يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم قليلون واخباره أصحابه بذلك.

ومن الامدادات الحسيه انزال المطر على الارض التى يعسكر فيها جيش المسلمين ذلكم انهم كانوا فى ارض رخوة تسيخ فيها اقدامهم

وقوائم الخيل فضاقت صدورهم فانزل الله عليهم المطر فثبتت الارض بعد ان ثبتت قلوبهم. ونشطوا وقويت معنويتهم..

ومنها رؤيتهم لاعدائهم يختلطون ويختلفون ويبحثون عن الماء فلا يجدون وتضعف خيولهم وابلهم بسبب العطش ويعلو الغبار وجوههم.

ومن الامور المعنوية التى لها فعالية لايقوى ولايصل اليها أى تدريب او تعليم او تربية حربية ذلكم الاعتقاد الذى يستقر فى قلوب المؤمنين وهو ان الفرار من الزحف بمثابة دخول النار وغضب الاله وهو من الكبائر فلذلك لايفكر مسلم فى التولى او الادبار او ترك صفه ومكانه فى المعركة او الثغر .. **(فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)** وروى البخارى ومسلم حديث الكبائر الموبقات قيل يارسول الله وماهن؟ قال: (الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.)

فالمسلم يفضل الشهادة على الفرار او النكوص او الرجوع الى الوراء. وهو يعلم انه ان قتل كان شهيداً فهو مسرور بالمعركة ومطمئن القلب لكلتا النتيجتين ..

(إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بل إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين. وماجعله الله إلا بشرى ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.)

(وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين انها لكم) (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام. إذ يوحي ربك إلى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) (إذ يريكهم الله فى منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى

أعينكم قليلاً ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الامور ..)

(ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) (ذلك وان الله موهن كيد الكافرين).

٧ ـ حقوق الله فى المحاربين وفى الحرب يجب ان تتوافر والا فان الموازين ستختل .. فتقوى الله واجبة فى كل لحظة وتقواه تعنى كل فروض الاسلام وتطبيقه على النفس والقريب والبعيد. وشكره واجب والشكر لا يكفى ان يكون لفظيا بل لابد من تأييده بالعمل .. والاعتقاد بان الله هو وحده القادر ومدبر الامور ومولى المؤمنين وناصرهم وان الحرب كلها ليكون الدين كله لله ولإحقاق الحق ودحض الباطل فلا تكون الحرب عصبية ولا مالية، ولا الزامية لأى هدف سوى ذلك ..

(فاتقوا الله لعلكم تشكرون) (ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم) (ليقضي الله امرا كان

مفعولا والى الله ترجع الامور) وكان ذكر الله وطاعته والتوجه اليه هو الشعور البارز بين المحاربين ورسول الله صلى الله عليه وسلم اولهم فقد فزع الى ربه يسأله النصر وحفظ هؤلاء المسلمين الذين هم الصفوة الاولى والخلاصة فى المؤمنين.

و يناشد ربه النصر الذى وعده وكان يخاف الا يكون فى هذه المعركة او ان تحدث معصية فى الجيش تمنع انزال نصر الله ..

٨ ـ محذورات يجب على الجند الاسلامى الابتعاد عنها وتجنبها اذا ارادوا النصر واذا وجدت فيهم فلن ينصروا.

ومنها : الخضوع لله تعالى وعدم البطر والتكبر او الاغترار بالعدد او القوة.

ومنها: عدم التولى ساعة الزحف وعدم التحرك الى الوراء الا لمصلحة المعركة.

ومنها:عدم الاختلاف والتفرق والتنازع فان فعلوا ذهبت معنويتهم ومكنوا العدو من انفسهم.

ومنها: حب المال والسعى اليه فما كان هذا

هدفا الا وافسد كل ماسواه وقد حذر الله المسلمين من حب المال عند الحرب وأوجب عليهم البعد عنه واخراجه من قلوبهم .. حتى لايكون وسيلة للاختلاف او الاختلال او تغيير المواقف او الخطط.

ومنها: البعد عن المعاصى الخاصة والعاجلة فيجب ان يكون القادة متمسكين بدينهم غير مقترفين للمعاصى ومانعين الجند من اقتراف اى معصية لا ترضى الله تعالى..

ولايتقصر الاختلاف واثره على الضباط والجند فى ميدان القتال والثغور بل يعنى عدم اختلاف المسلمين فى عقولهم واتجاههم وهم فى اماكن اقامتهم ولو كانوا يبعدون من موقع الحرب آلاف الاميال لان ذلك يؤثر على الروح المعنوية للمحاربين و يرفع يد الله عنهم وتوفيقه وتأييده وهذا واقع احوال المسلمين اليوم فهم عدد كبير يقدر بمئات الملايين وهو يتزايد ولكنهم مختلفون فى آرائهم وتصرفاتهم وكم من معارك خاضوها ولديهم الاستعداد الظاهرى

للنصر لكنهم خسروا هذه المعارك بسبب
خلاف الحكومات أو الرؤساء او تنازع القادة
على السلطة وعلى كل مهتم بامور المسلمين
مراجعة سجل معاركهم مع اعدائهم خلال
قرنين من الزمن .. والله عز وجل هو رب
الجميع ودينه واحد لم يتغير فى عصر من
العصور .. ولكن الناس يتغيرون (ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس
ويصدون عن سبيل الله) (واعلموا انما غنمتم من شيء
فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا
على عبدنا)

٩ ــ تعليمات وأوامر الهية تصدر للجندى ويجب أن
يلتزم بها الجميع ابتداء من الحاكم ثم القائد
الى آخر جندى من المحاربين .. ومن لايلتزم
بها و يطبقها عليه أن يخرج من صفوف الجيش
.. ومنها:
الثبات فى المكان المخصص لكل واحد
ومجموعة وعدم تغييره مهما كانت الاحوال الا

للحصول على كسب اكبر للقتال: (ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) ومنها الطاعة المطلقة عند ابتداء الحرب فقد انتهى هنا ابداء الراى ولم يبق سوى العمل (يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون) (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)

ومنها : مقاتلة العدو مادام فى مقاتلته ازالة للفتن وتحكيم لدين الله فان ترك ماهو فيه من الضلال ورجع الى الحق كففنا عنه (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فإن الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم والمولى ونعم المصير) اى يغنيكم عنهم وينصركم عليهم ان حاربتموهم وهم على تلك الصفة المكروهة من الله وانتم على الصفة المحبوبة منه سبحانه ..

١٠ــ بوادر النصر تلوح للمحاربين المسلمين ومنها

بوادر مسموعة ومحسوسة. وفى بدر حصل من ذلك كثير. فنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أذن الله له ببدء الحرب اخذ حفنة من التراب بيده الكريمه فرمى المشركين بها وجند المسلمين يشاهدون ذلك وقال شاهت تلك الوجوه ..

و يقول الله فى ذلك (ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى) فكان فى ذلك بادرة نصر يراها المحاربون. ومن ذلك ماأعلنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنده من قوله تعالى (والله لايقاتلهم أحدٌ مقبلاً غير مدبر صابراً إلاّ دخل الجنة) فكانوا يسمعون هذا القول و يتصورون انهم يشاهدون الجنة فيسارعون للهجوم على صفوف المشركين. وقد جاءه جندى يقال له (عمير بن الحمام) فقال يارسول الله مابينى و بين ان ادخل الجنة الا ان اقاتل هؤلاء فيقتلونى. فقال نعم. وكان بيده تمرات يأكلها فاقبل على صفوف العدو ثم قال: والله انها لحياة طو يلة — يعنى اذا انتظر الى نهاية التمرات ..فرماها

واقتحم الصفوف وقتل منهم عدداً ثم استشهد رضى الله عنه ومنها: المبارزة فان المبارزين تقدموا امام الجيشين فانتصر مبارزو المسلمين على اعظم ابطال قريش فى زعمهم انهم لايغلبون.

وكان فى ذلك دفع للبقية الى الشجاعة والاقدام ..

ومنها : التكبير عند التحام الصفوف والتكبير طاعة لله وصوت يورث الشجاعة فى نفوس المسلمين ويدخل الرعب فى قلوب الاعداء ولم نعد نسمعه من جنود المسلمين اليوم. (يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) .. ولكل زمان آية فقد تختلف وسائل التشجيع ويأخذ بها المسلمون اذا كانت مباحة وفى صالح المعركة..

ولكن المسلمين اليوم يتبعون التنظيم الحربى والوسائل التى اخذوها عن اعدائهم وينسون الوسائل المعنوية والحسية التى جاءت من ربهم وعلمها لهم نَبِيُّهم .. وينسون فى

ميدان الحرب كل المقومات المعنوية التي هى أبقى وأنجى ..

ولقد حدثنى احد مشائخى انه فى عام (١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٨م) عندما قامت حرب فلسطين بين اليهود والعرب ..! اشتركت ثُلَّةٌ من الجنود السعوديين فى الحرب ولما عاد بعضهم والحرب قائمة سألهم شيخنا: كيف حال المحاربين هناك؟. قالوا: إنهم بخير وفى أحسن الاحوال. يقصدون المأكل والملبس والموقع .. قال: كيف يعملون؟ فأخبروه عن كل شيء ماعدا امور دينهم ..!

فقال لهم: هل يؤدون الصلاة جماعة وعلى شكل منتظم ومشهور ومعترف به لدى الجند أجمعين؟. قالو: لا. انما من اراد أن يصلى صلى. فهز رأسه وبكى. فقالوا. مايبكيك؟ قال: ان هؤلاء الجند لاينصرون ...

وهكذا كانت النتيجة فان جنود العرب ..! كانوا كثيرين لكنهم لم ينتصروا

علـى الجـنود الاذلاء المشهورين بالجبن والخور.
بسبب فقد المقومات الأساسية..!

١١ــنتيـجة الحرب في بدر انتصار القليلين الاذلاء علـى الـكثيرين الاعزاء. (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) (ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت.) وعـاد جند الله بالنصر رغم قلة عددهم وضعف سلاحـهـم وعـاد المـشركـون بـالخسارة والفشل يحـمـلـون الاشـلاء و يـنـدبون حظهم و يفقدون ابطالهم وقادتهم..

١٢ــوهـنـا قـد يقول قائل: اننا لسنا مثل رسول الله ولا مـثـل صـحابته ولسنا فى منزلتهم ولن ينزل علينا العون الإلهي من ربنا..

واقـول لـه: ان هـذه قواعد ومبادىء وضعها لنا ربـنـا فـلـو عملنا كما عمل قدوتنا وسيدنا ومن مـعـه من المـسلمين لتنزلت علينا الرحمة وكتب لـنـا الـنصر فـنـحن عـباد الله وهم عباده وهم سـلـفـنـا ونحـن خـلـفهم ولكن يجب ان نتحلى بصفاتهم وان نسلك مسالكهم.

ومـن احـب الـتـأكد من ذلك فليراجع نصوص

الآيات القرآنية ليرى الشمول والاستمرارية فيها وعدم التحديد بشكل أو زمن .. وليراجع سجل المعارك في تاريخ الاسلام ليرى أن النصر يدور مع علته فكلما وجد الايمان والثبات وحسن الهدف والتوكل على الله والقصد الى إحدى الحسنيين وجد النصر وكلما تخلف هذا تخلف ذاك ...!

الصدق عند اللقاء يورث النصر :

(وإذ غدوتَ منْ أهلِكَ تبوِّىء ُالمؤمنين مقاعِدَ للقتال والله سميع عليم (١٢١) إذ همّتْ طائفتان منكم أن تفشلا والله وَليهُما وعلى الله فليتوكل المؤمنون(١٢٢)) (سنُلقى فى قلوب الذين كفروا الرُّعبَ بما أشركوا بالله مالم يُنزِلْ به سُلطاناً ومأواهم النارُ وبئس مثوى الظالمين(١٥١) ولقد صَدقَكَم اللهُ وعدَهُ إذ تحسونهم باذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ماأراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين(١٥٢) إذ

تُصعِدُون ولا تلوُوُن على أحد والرسول يدعوكم فى أخُراكم فأثابكم غَمّاً بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولاماأصابكم والله خبير بما تعملون(١٥٣) ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمَنَةً نُعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غيّر الحق ظنَّ الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كُلَّهُ لله يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر من شيء ماقُتِلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كُتِبَ عليهم القتلُ إلى مضاجعهم وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ ما فى صدوركم وَلِيُمَحِّصَ مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور(١٥٤) إنَّ الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ماكسبوا ولقد عفا الله عنهم إنّ الله غفور حليم).(١٥٥)

(ولئن قُتِلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون(١٥٧) ولئن مُتم أو قُتلتم لإلى الله تُحشرون(١٥٨) فبما رحمة من الله لِنْتَ لهم ولو كنت فَظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمتَ فتوكل على الله إنّ الله يحب المتوكلين(١٥٩)إنْ ينصُرْكم اللهُ فلاغالب لكم وإنْ يخذُلْكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل

المؤمنون(١٦٠)(آل عمران)

في موقعة(احد)مصدر غني لبحثنا يعطي المسلمين كل الدروس الحربية ابتداء من بوادر الحرب الى العودة الى الديار .. وسنستخلص من هذه الدروس والتجارب مايفتح الله علينا به مما ينفع المسلمين اليوم. فمن ذلك:ـ

١ ـ الشورى أولاً: عندما دق خبر تجمع قريش آذان المسلمين في المدينة اجتمع حول رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد من المسلمين فابلغهم ان قريشا قد جمعت جموعها وألبت القبائل وبعثت بعوثا الى اعوانها حول المدينة وانها سارت بقضها وقضيضها تريد المدينة للاخذ بثأر بدر. فما ترون ..؟ وكان المجتمعون من الشيوخ والشباب فأشار الشيوخ بالتحصن في المدينة وعدم الخروج اليهم فمن وصلنا قاتلناه جميعا رجالا ونساء وصبيانا ونحن متحصنون وان تركونا سلمنا. واشار الشباب بالخروج والمبارزة وعدم البقاء داخل الحصون.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يميل الى الرأى الأول لقلة عدد المسلمين وكثرة عدد الكافرين واستعدادهم، ولكن حصل أخذ ورد ولم يتفقوا. واخيرا دخل رسول الله الى بيته فلبس لامة الحرب وخرج اليهم، وكان الشيوخ قد اقنعوا الشباب برأيهم فقالوا يارسول الله ان شئت ان تمكث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ماينبغى لنبى اذا لبس لامته ان يرجع حتى يحكم الله له) وهنا تتجلى شخصية القائد وعزيمته وبته فى الامر فما دام الرأى متداولا يغدو ويجىء فهو منهم فاذا عزم على رأى فالرأى رأيه. ويقول الله فى ذلك.. (**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين**)

وبهذا نفهم معنى الشورى فى الاسلام بانها اتاحة الفرصة للرأى العام ان يبدى رأيه ويتبادل الرأى ويختار الأفضل فاذا لم يتفقوا

فلابد من رأى يقطع النزاع ويحدد الموقف ويكون ذلك من الحاكم أو من ذوى الرأى والحكمة فى المسلمين..

٢ ـ تفقد الجيش قبل المعركة من القواعد الحربية الأساسية فى الاسلام وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج المدينة وعندما كان على بضعة اميال منها وقف يتفقد جيشه لأن الموقف خطير والوقت قصير والخوف والخور بدأا يهزان أبدان المنافقين وقليلى الايمان وبدأت فرائصهم ترتعد خوفا على حياتهم .. وهنا تفقدهم رسول الله واحدا واحدا. فكان يقول من هذا فيقولون فلان بن فلان. فرد جماعة يعرف سوء أثرهم فى الجيش وتقدم اليه عدد من الصبيان يطلبون قبول انضمامهم الى المحاربين فقبل عددا منهم ورد بعضهم فبكى (سمرة بن جندب) فقيل له مايبكيك قال قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم (رافع بن خديج) وردنى وأنا اصرعه. وكان رسول الله قد قبل الاول لما قيل له انه رام فلما قيل ان

سمرة يصرع رافعا أمر بهما فتصارعا فلما صرع سمرة رافعا اجازه .. وهنا تغلب الخوف على قلوب من فيهم مرض، وتغلب الايمان على المؤمنين فهم بعض الجيش بالرجوع ورجعت طائفة من المنافقين واستعد رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسير الى وجهة الاعداء (واذ غدوت من اهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون) اذن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدرى ماذا سيلقى فى معركة احد واذن فقد برز الايمان وانتشل طائفة من الهلاك بينما هلكت الاخرى وقد ارشدنا الله تعالى الى ان التوكل عليه يطرد كل خوف و يقوى كل ضعيف و يقطع كل تردد.

وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوانا من الاغراء وانواعا من نماذج الشجاعة ليقتدى بها الاخرون. فقد رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه وقال: (من

يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام اليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام اليه ابو دجانة (سماك ابن خرشة)
فقال وماحقه يارسول الله؟ قال ان تضرب به العدو حتى ينحنى).
قال: أنا آخذه يارسول الله بحقه. فأعطاه إياه. وكان ابو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب اذا كانت. وكان اذا أعلم بعصابة له حمراء فاعتصب بها علم الناس انه سيقاتل. فلما اخذ السيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه وجعل يتبختر بين الصفين وكانت عصابته تلك تدعى بعصابة الموت وجعل لايلقى احدا الا قتله. وقال ابو دجانة رأيت انسانا يخمش الناس خمشا شديدا فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فاذا امرأة فاكرمت سيف رسول الله ان اضرب به امرأة .. (يعنى هندا بنت عتبة).
٣ ــ التخطيط الحربى ورسم موقع المعركة امر

اساسى في الاسلام.
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان جيش المشركين قد اقبل من شمال جهة احد فقصد أحداء، وهناك خطط المواقع الاستراتيجية في الموقع وحسب كل حساب لما يحدث اثناء المعركة فحدد موقعا للرماة وجعل عليهم امرأ يقال له (عبد الله بن جبير) وقال لهم:
(انضحوا الخيل عنا ولانؤتين من قبلكم ان كانت المعركة لنا او علينا وان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم). وكان الموقع يطل على الساحة التى بين الفريقين ويحمى ظهر المسلمين..
ونظم باقى الجيش فى اماكنهم وجعل على كل سرية أميرا وعين القادة العامين وحملة الاعلام وهنا فزع الى ربه كعهده فى كل معركة يسأله التأييد والعون و يتضرع اليه و يسأله الرحمة واللطف بالمؤمنين، وكل المؤمنين قلوبهم معلقة ببارئهم وهى أكبر ماتكون تعلقاً به فى الساعات الحرجة..

٤ ـ الجبن والخور والخوف صفات ملازمة لاعداء الاسلام بشرط أن تكون الفوارق بينهم وبين المسلمين قائمة مطبقة فعلاً لا قولاً فاذا التقى الجيشان على هذه الصورة فالغلبة مضمونة للمسلمين والهزيمة والانتكاس والاختلاط فى الرأى والارتباك فى العمل متحقق لجيش الآخرين .. وفى ذلك يقول الله تعالى (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) فهذا الحكم الذى جعله الله ملازما لهم بسبب صفة فيهم خلا منها المسلمون. اما اذا استوى الفريقان وكان المسلمون مثل الجيش المقابل لهم فى العمل والتطبيق فإن المعايير تختلف والنتائج تكون على غير القواعد والمبادىء التى استعرضناها فيما مر من القواعد الاسلامية الحربية .. وهذا هو جواب اى سؤال يطرحه المسلمون على أنفسهم أو يسأله اعداؤهم عند تحليلهم لواقع المسلمين اليوم ومايثبت بالفعل من تاريخهم .. وبهذا يزول الإشكال عن الفريقين ..!

٥ ــ المعصية للاله وعدم العمل بما أمر، والمعصية للقائد الذى يأمر بما فيه مصلحة المسلمين ونجاح الخطة الحربية سبب للهزيمة لامحالة ولوقوع غضب الله على العاصين ورفع يد المعونة عنهم وذهاب ريحهم ومعنويتهم .. وكذلك حب الدنيا والسعى اليها أو جعلها هدفا وخاصة فى المواقف الحرجة القريبة من الموت فان أخس النفوس وأبعدها عن طاعة الله اذا احست بالخطر رجعت الى ربها وأظهرت الايمان (**فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون**) وهنا فى المجال الحربى يقول الله تعالى (**حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم**) فهذا اثبات لسبب النصر ولسبب الهزيمة والمسلم مأمور بالاخلاص لله تعالى فى كل احواله فى العلن وفى السر وفى السلم والحرب. والحقوق منظمة ومحفوظة فلا مجال للاختلاف او التسابق على الغنيمة ..

وهذه قواعد عامة ودائمة وليست خاصة فى موقعة دون اخرى او مقتصرة على تاريخ او اشخاص بأعينهم.

٦ ــ النقاش الموضوعى من الله تعالى لمن وقع منهم الخطأ من المحاربين مع رسول الله يعطينا تعليمات واضحة نسلكها ونتبعها فيمن قارب جندنا ونعلمهم قبل دخول المعركة بنتائج هذه التعليمات حرفا بحرف وخطوة بخطوة .. فالقرآن هنا يثبت بقول الله تعالى أن المسلمين فى أحد كانت احوالهم مستعدة لنيل النصر ولذلك صدقهم الله ماوعدهم به من النصر وهو يراقبهم فلما اختلفت نواياهم تغير الحال فورا .. (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه) ففى اول المعركة كان الدافع حسنا والقصد سليما فحصل النصر والغلبة للمسلمين ولما لوح بريق المال وتبعته بعض النفوس تغير الحال سريعا .. وصرف الله المسلمين عن المشركين يبتليهم ولم يكن خطؤهم كبيرا لما وقر فى قلوبهم من الايمان فلذلك دارت الدائرة عليهم ثم عفا الله

عنهم وانتشلهم مما هم فيه واصلح امرهم ..
وذلك أن الرماة الذين كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم أكد عليهم بعدم ترك مواقعهم
عصوا الامر وانحدروا من الجبل الى السهل لما
رأوا المقاتلين يجمعون الغنائم التى تركها
المشركون وثبت اميرهم(عبد الله بن حبير)
فانتهز (خالد بن الوليد) وكان قائد الخيالة انتهز
هذه الفجوة فدار الجبل وجاء الى (عبد الله بن
جبير) فقتله وعقر المسلمين من خلفهم وهنا
اختلط جيش المسلمين ووجد مجال للشيطان
ليدخل و يوسوس لبعض النفوس بالخور
و باليأس. وفى ذلك اكثر من درس ومن معنى
لو اتعظ بها المسلمون لنجوا من شر كثير. والله
عز وجل بلطفه وفضله يناقش المؤمنين فى أحد
و يقررهم بخطئهم .. و يربيهم تربية سامية
ترفعهم عن التوافه وتجعلهم اهلا للنصر ..
و يذكر ماكان من حالهم وتصرفهم عندما
أحسوا بالخطر .. وقد لطف بهم فأسرع
بعلاجهم علاجا الهيا لايستطيعه سواه وهو

اصابتهم بالنعاس حتى ينقلهم من حال الخوف الذى ادهشهم الى حال الطمأنينة والتفكير بفكر المؤمن وعدم الارتباك الذى يعمى .. وما ان فتحوا اعينهم حتى رأوا رسول الله بخير وحوله بعض كبار الصحابة فعاد اليهم صوابهم والتأموا حول رسول الله بعد أن اصابهم بعض القرح والمصيبة .. وفى ذلك يقول الله تعالى

(ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ماأراكم ماتحبون منكم من يريد الدينا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذا تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم فى اخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا مااصابكم والله خبير بما تعملون)

(ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهتمهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية).

٧ ــ الامانى والظنون والحصون الحسية لا ترد القدر

ولا تغنى أو تكفى تحصنا عن العدد. وقد ظن المنافقون أنهم لو لم يخرجوا الى المعركة فى أحد لسلموا .. وقد أبدى الله مافى نفوسهم لنبيه ليعلم حقيقتهم وليحسب حسابه فى المعارك المقبلة فلا يقبل فيها من يكون باطنه غير ظاهره أو لايكون قلبه مع المسلمين وحقيقته مع المحاربين وفى ذلك يقول الله تعالى **(يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم مالايبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر من شيء ماقتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم)**. واما المنافقون فقد ابتلى بهم الاسلام منذ نشأته الى يومنا هذا وأصاب المسلمين منهم ويلات معروفة فى التاريخ وهم مازالوا يعيشون بين أظهر المسلمين حتى اليوم وهم كثير لاكثرهم الله فكل من لم يكن مع المسلمين بقلبه وقالبه فهو منافق. وكل من كره شيئا من الله أو برم به فهو منافق، ومن أظهر الموافقة وفى قلبه ضدها فهو منافق، ومن تظاهر بمناصرة دين الله وهو يبطن

خلاف ذلك فهو منافق .. وعلى المسلمين اذا
أرادوا النصر أن يطهروا صفوفهم من هذا النوع
من الناس والا يدعوا لهم المجال للمقام بين
اظهرهم .. فإنهم أسباب كل بلية فى الحرب
والسلم والمنشط والمكره .. وهم مهما تظاهروا
فإن حالهم وتصرفاتهم تدل عليهم، وإذا طابت
وزكت احوال المسلمين فانها تنفض الخبث
لامحالة .. اما اذا اختلطت فسيكون فيها كل
المتناقضات وكل المكروهات وهذا الوضع هو
مالا يرضاه الله للمسلمين..

٨ ــ الموت فى سبيل الله خير من الدنيا ومافيها.
والنصر من عند الله وحده فمن اراد الله نصره
فسوف ينتصر لامحالة. ومن اراد خذلانه فلن
ينتصر ابدا .. وقد يقول أحد دارسي هذا
البحث مادام الامر مقررا ثابتا فلم العمل.؟
ونقول : هون عليك ياأخى .. فهذا النصر
وتلكم الارادة مشروحة وموضحة بما سبق من
هذه الاية الكريمة ومرتبطة بعمل الفريقين
ومقدار إخلاصهم وتعلقهم بالله ... والتوبة

بابها مفتوح وهى مقبولة من رب العباد فاذا غيرَّ العاصون أفعالهم ورجعوا الى الله وثابوا الى رشدهم كانوا حريين بتنزيل العون والنصر عليهم .. (ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون.) (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وهنا وفى نتيجة هذه المعركة وفى خلاصة هذه التعاليم الإلهية ينقل الله تعالى المؤمنين الى مرحلة سامية من الاعتقاد والارتفاع بالنفس الى مصاف الاتقياء الصالحين المجاهدين فيجعل هدفهم الشهادة .. ومن كان هدفه الشهادة والموت فلن يعبأ بكل مايعترضه دونهاوسيستسهل الصعب و يتخطى العقبات، لانه قد انتهى من الدنيا فلن يقف فى وجهه أحد. وهذه الصفة لاتوجد الا عند المؤمنين .. وهى صفة كان قادة المسلمين يتحدون بها أعداءهم فيقولون لهم أول لقائهم بهم وعند مواجهتهم وقبل بدء

القتال: اما بعد: فقد جئتكم باناس يحبون الموت كما تحبون الحياة .. وهذه النوعية نادرة حتى إن بعض الصحابة يقول عند الهجوم على الاعداء «الله أكبر ماأطيب ريح الجنة وإني لاجد ريحها....».

تكالب الأمم على المسلمين :

﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا (٩) إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (١٠) هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالال شديداً (١١) وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غروراً (١٢) وإذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وماهي بعورة إن يريدون إلا فراراً (١٣) ولو دخلت عليهم من أقطارهم ثم سئولوا الفتنة لآتوها وماتلبثوا بها إلا يسيراً (١٤) ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الأدبار وكان عهد الله مسئولاً (١٥) قل لن ينفعكم الفرار

إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تُمتعون إلا قليلاً (١٦)
قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو
أراد بكم رحمة ولايجدون لهم من دون الله ولياً ولانصيراً
(١٧) قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ
إلينا ولايأتون البأس إلا قليلاً (١٨) أشحة عليكم فإذا جاء
الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه
من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة
على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك
على الله يسيراً (١٩) يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأتِ
الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن
أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلاً (٢٠) لقد كان
لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر وذكر الله كثيراً (٢١) ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا
هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم الا
ايماناً وتسليماً (٢٢) من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله
عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدّلوا تبديلاً
(٢٣) ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن
شاء أو يتوب عليهم إنّ الله كان غفوراً رحيماً (٢٤) وردّ

اللهُ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتالَ وكان الله قوياً عزيزاً (٢٥) وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صَياصِيهم وقذف في قلوبهم الرّعب فريقاً تَقتلون وتَأسِرون فريقاً (٢٦) وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديراً (٢٧)) (سورة الأحزاب)

موقعة الأحزاب أيام حرجة غربلت المجتمع في المدينة المنورة وحولها وفرزت الذهب من التراب والخبيث من الطيب وقد أرهبت المسلمين وحسبوا لها حسابها وكانت نتيجتها في مصلحة المؤمنين. وفيها مناسبات مماثلة للمجتمع الاسلامي اليوم على المستوى الخاص والعام ولم تقتصر على التنظيم الحربي وسلوك وسائل الحماية والاحتياط واتخاذ أسباب النصر بل بينت فئات الناس الذين كانوا مع رسول الله. وسنأتي باختصار على المبادىء والارشادات الآلهية والتصرفات النبوية التي تناسب موضوع بحثنا هنا:

١ ــ أسباب تكالب أعداء الاسلام على المسلمين

.. هي تلك الأسباب المتكررة التي يجتمع عليها كل أعداء الإسلام وهي البغض لمن يدين بالاسلام لأنه يخالفهم ولايقول ولايفعل مايفعلون، وشيء يخص المشركين في مكة وهو أنهم هزموا في معركة بدر، وقتل أشرافهم فعيرهم من لم يحضر المعركة من قومهم وعيرتهم النساء، واعتزل بعضهن أزواجهن. فاستعدوا هذه المرة ولم يكتفوا بالتحضير الحربي الموجود لديهم بل أرسلوا رسلا وكتبوا كتاباً الى اليهود في المدينة والمنافقين فيها يخبرونهم بما عزموا عليه و يؤكدون أنهم سيقضون على محمد وأصحابه، وأنهم سيكونون حلفاء لهم وسيعطونهم فرصا أوسع مما يعطيها لهم محمد. وألبوا كذلك القبائل حول المدينة. وجاءوا بقضهم وقضيضهم، واستعد أنصارهم ممن كان في المدينة لمعاونتهم والانضمام اليهم في الوقت المناسب .. (**اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ..**)

٢ ـ بلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم مجزءا

وكالعادة جمع أصحابه واستشارهم فأخذوا يديرون وجوه الرأى. وبعد جمع الاخبار علموا بتكالب الأعداء جميعا فأحسوا بثقل الأمر وبان هذه المرة هي القاضية لو تمكن الأعداء من تنفيذ خطتهم. ولم يختلفوا هذه المرة مطلقا في أن البقاء في المدينة أمر ضرورى للأمور التالية:ـ

أولا :إن العدد الذى سيأتيهم به المشركون عدد كبير لاينسب الى عددهم.

ثانيا: إن عدوهم شرير متحمس مستعد له ثأر كبير وقد وجد فرصته للانقضاض على الآمنين المسالمين.

ثالثا: إنه أفسد المجتمع المتخفى في المدينة فجعله يظهر بغضبه وحقده على المسلمين وليس أنكى ولاأعظم ولاأشد خطرا من خيانة المجتمع أو الجيش من داخله.

هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا، وزاغت أبصارهم وكادت أن تزهق أرواحهم (واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون

بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا).

٣ ــ سلمان الفارسي يقترح الخطة الحربية للمسلمين .. في أشد ظروف المسلمين الحرجة وأعظم المحن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ساعات حرجة ولحظات تمر سراعا لايجد المسلمون مخرجا من المحنة، وهم يغدون و يروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، و ينتظرون أن يصل عدوهم مصبحا أو ممسيا، اذا بفكر غر يب على العرب يبدو من عقل مؤمن مخلص لله ورسوله هو (سلمان الفارسي) اذ يأتي بلطف وأدب فيقترح على رسول الله أن يحفر حول المدينة خندقا يمنع الاعداء من اقتحام المدينة وأكد رأيه بتجربة يعرفها من الفرس .. فعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقتراح على ذوى الرأى من أصحابه فاستحسنوه وقبله رسول الله وأمر بتنفيذه. فدعى كل المسلمين للعمل الفورى. وسلك رسول الله طر يقة ناجحة وسر يعة هي

طريقة التوزيع وتحديد المسئولية فأعطى كل مجموعة مسافة محدودة. وعندما ينتهون منها يعطيهم سواها. وهكذا . ولم يقصر نفسه صلى الله عليه وسلم دونهم بل بدأ بنفسه فشد حزامه وعصب بطنه من الجوع بحجرين. وكانت المجموعات تشتكي اليه عندما تقابل منطقة صخرية فيأتي فيأخذ المعول ويفتتها.. وقد عمل المسلمون ليلا ونهارا حتى خندقوا حول المدينة دائرة كاملة واسعة عميقة لايقوى الراجل ولاالراكب على اجتيازها ورغم ماأصاب المسلمين من الشدة والعناء في حفر الخندق الا أنهم حمدوا العاقبة اذ تنفسوا الصعداء عندما رأوه منيعا حصينا.

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا).

٤ ـ الخطة الحربية لدى المتحزبين كانت: الوصول الى المدينة مباشرة ودون توقف لأنهم مدلون بقوتهم واثقون من المدد الداخلي موقنون بأن عدد المسلمين قليل اذا قيس بعددهم وان

عتادهم الحربى لايذكر بجانب ماأحضروا من العدة التي بدأ تحضيرها من هزيمتهم ... ولذلك لما شاهدهم الرعابيب وقليلو الايمان تسللوا لواذاً واستأذن طائفة منهم رسول الله في العودة، وأشاع بعضهم أنه لاقبل لنا بهم والأفضل الرجوع.

ولما وصلوا الى المدينة يريدون اقتحامها فوجئوا بالخندق فسارع بعض الخيالة مقسمين أن يقتحموه فكان المجاهدون من المسلمين يقفون وراءه فيأتي الفارس فيسقط فيبادر الجندى المسلم الى ضرب عنق المهاجم. وهكذا كانت بداية سيئة للمشركين وضربة في وجوههم عملت رد فعل سريع لم يكونوا يتوقعونه وخاصة بعد أن تحدى المسلمين الشجاع الفاتك (عمرو بن عبد ود) واقتحم الخندق الى المسلمين فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب بمبارزته فأقبل اليه علي رضي الله عنه فتجاولا فصرعه علي أمام أعين الفريقين.

٥ ـ دور النساء في الحرب .. للمرأة المسلمة دور كبير فى الحرب تحضر فيه طعامهم وشرابهم وتضمد الجرحى منهم، وتجمع عليهم الشارد من أسلحتهم الخفيفة وتناولهم بعضها وهي في سترها واحترامها .. وقد شهدت النساء مواقع حربية مع المسلمين أما في هذه المعركة فقد عملن كثيرا واختلفت ترتيب موقعهن اذ قسمن الى قسمين: الاول النشط الذى يساعد بنقل الماء وسقي العاملين في الخندق والتحضير للمحاربين. والثاني المعذورات وكبيرات السن والأطفال فلم يتركن هذه المرة فى بيوتهن بل وزعن الى فرقتين الاولى تقف في سطوح المنازل معها الحجارة تستعد لرمي أى مار من الأعداء .. ومعها بعض الصبيان. والثانية جمعت في مكان كبير وجعل عليها حارسات من النساء .. وذلك لأن العدو هذه المرة قد يخرج من بيوت المدينة من المنافقين أو اليهود. وفعلا حدث ماتوقع المسلمون فان يهوديا دار الحصن الذى فيه هذه الفرقة و يسمى (حصن

فارع) فخافت النساء فقامت اليه (صفية بنت عبد المطلب) ومعها عمود فلطمته به من قفاه فأردته قتيلا ثم سحبته مع نسوة معها الى مكان بعيد عن الحصن.

وهكذا يكون دور المرأة المسلمة نافعا ومتخصصا يبقى لها احترامها وحياءها وعفتها وهو لايمنعها من المشاركة فيا ينفع المسلمين .. ويوم كانت المرأة مدركة لواجبها ووظيفتها وحدود اختصاصها كانت أكثر نفعا وأعظم سعادة وأهنأ بالا .. أما اليوم فقد حاول بعض الرجال اقلاقها والتشويش عليها وصرفها عن الأفضل الى الارتباك والحيرة وخوض ميادين تتعبها ولا تنفعها ولا تنفع المسلمين ..

٦ ـ للمنافقين دور كبير في الحرب كما لهم دور في السلم وهدفهم دائما التخريب والانضواء في صفوف المسلمين مبطنين مالا يظهرون. ان أصاب المسلمين خير قالوا نحن معكم وان أصابهم بلاء قالوا لم نكن معكم وفرحوا به وهم أعين سوء تنقل أخبار المسلمين السيئة

الى أعدائهم. وقد دفعهم النفاق والخوف والخور الى سلوك هذا المسلك فهم يقولون نريد أن نجعل لنا يدا مع هؤلاء وهؤلاء فصاروا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء. بل أدركوا غضب الله ومقته ولم يدركوا رضاء أحد من الفريقين..

والنفاق مرض خبيث يكمن في النفوس ولايظهر الا عند الحاجة ولذلك لم ينته من المجتمع الاسلامي ولم يتمكن المسلمون من القضاء عليه. وفي هذه المعركة اتفق منافقو المدينة مع قريش أن يكونوا معهم وأن ينقضوا على المسلمين من الخلف عندما تنشب المعركة واستعدوا لذلك وساروا على التخطيط الذى وضعه المشركون وهو هجوم المشركين من المقدمة وانبعاث المنافقين من الوسط ومدد اليهود من الخلف ولكن باءت كل هذه الافكار بالفشل.. وكبت أعداء الله ولم يحققوا ماتفقوا عليه ماعدا التخذيل واثارة الشكوك والظنون وقد أثبت الله تعالى في ذكر أخبار

هذه المعركة صفات يتحلى بها المنافقون نلخصها هنا ليستفيد منها المسلمون ويحذروا من يتصف بها فنها: تكذيب الله ورسوله وانكار ماوعد به (**واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا**).

ومنها: الارجاف بمن حولهم ومحاولة التأثير على المسلمين (**واذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لامقام لكم فارجعوا**).

ومنها: الفرار والهرب من المعركة والبعد عن مواقع الخطر وانتحال الاعذار (**ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعورة ان يريدون الا فرارا**).

ومنها: عدم ثبات الايمان في قلوبهم واستعدادهم للتحول والنفير والنكوص عن الايمان وعما عاهدوا عليه(**ولو دخلت عليهم من أقطارهم ثم سئلوا الفتنة لآتوها وماتلبثوا بها الا يسيرا**).

ومنها: نكث العهد واخلاف الاتفاق (**ولقد**

كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الادبار وكان عهد الله مسئولا).
ومنها: انهم أصحاب وجهين يصبحون بوجه ويمسون بآخر و يتلونون كما تتلون الحرباء و يلينون الى أشد أنواع اللين و يقسون في الظاهر الى أشد القسوة .... اذا لمحوا طريقا يدركون به عرضا من الدنيا فهم أبخل الناس وأشدهم حبا للمال لأنه هو هدفهم (أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير).
ومنها: عدم الانتفاع بهم ولو كانوا كثرة فهم مع المسلمين بأبدانهم لكن قلوبهم ليست معهم حتى انهم يسألون عن أخبار المؤمنين وهم بين أظهرهم ولايدرون مايجرى اذا لم يكن لهم مصلحة مالية (أولئك لم يؤمنوا فاحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وان يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الا قليلا).

٧ ــ الكفر كله ملة واحدة. فمن لم يكن مع المؤمنين فهو ضدهم سواء كان منافقا أو مشركا او ملحدا أو كافرا فكل هؤلاء لايرقبون في مؤمن الا ولاذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم. وقد تظافر على حرب المسلمين المشركون والمنافقون واليهود .. وكانوا جميعا يتمنون أن يزول المسلمون لينتهي الاسلام من الارض ولكن الله أراد الاسلام لعباده دينا لا دين لهم سواه.. وهذا أعظم درس للمسلمين في حال الحرب وفي حال السلم حتى يأخذوا أهبتهم ويحسبوا حسابهم لمن بين أظهرهم ومن يجاورهم ومن يتعامل معهم .. وليعلموا أن أعداءهم يعرفون الاسلام و يعلمون نهجه و يدركون أهداف المسلمين و يعلمون تمام العلم أنه لو ساد الاسلام في الارض فلن يبقى لهم مجال للسيطرة على العالم فلذلك يحاربونه و يتفقون ضد أهله، ويخططون لتعمية أهدافهم عن المسلمين وهم متفقون عليها سلفا.

(ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الا قليلا) (وأنزل الذين

ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم).

٨ ــ النصر للمسلمين مهما طال الزمن أو جال الباطل وظهر أو ران على الحق ضباب فانه سيزول و ينتصر المسلمون. وقد كانت نتيجة الحرب الجماعية الابادية التي خطط لها أعداء الاسلام في (الأحزاب) ان انتصر المسلمون وخذل الكافرون وأظهر الله المسلمين وخذل كل أعدائهم. فاندحر المنافقون وانكشفوا أمام المسلمين..

وانهزم المشركون بعد محاولات وعناء واستماتة و باءوا بالفشل والاسى وعادوا الى قومهم يجرون ذيل الخيبة والهوان .. وذهب كل ارغائهم وازبادهم وتوعدهم وتكبرهم ووعودهم لمن تحزب معهم. وكانت الدائرة على اليهود الذين نكثوا العهد وقلبوا ظهر المجن لمن أمنوهم ووثقوا بهم وعدوهم منهم لهم مالهم ماعليهم يعيشون معهم في بلد واحد .. لكنهم جلبوا الشر لانفسهم ولم يدركوا سوى القتل والتشر يد .. بعد أن انهزم المشركون الذين ز ينوا لهم

نكث العهد والخيانة. (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرّعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا).

وهنا وبعد أن نوقن بأن النتيجة هي النصر للمؤمنين يجب أن نستعرض صفات المؤمنين الذين نصروا في هذه الغزوة فنها:

أولا :انهم مؤمنون ايمانا صادقا يدك الجبال وثابتا لايتزعزع ابدا ولذلك كانت كل الصفات التي يصف الله بها حزبه بصفة المؤمنين لا المسلمين. وهذا شرط في النصر ...

(ياأيها الذين آمنوا) (هنالك ابتلى المؤمنون) (ولما رأى المؤمنون الاحزاب) (ومازادهم الا ايمانا) (من المؤمنين رجال) (وكفى الله المؤمنين القتال).

ثانيا: التصديق بما وعد به الله ورسوله مهما قست

عليهم البلواء وعدم التغير أو التبدل والثبات على المبدأ: **(قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم الا ايمانا وتسلمياً) (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا) (ليجزى الله الصادقين بصدقهم)** .. وطاعة القائد طاعة مطلقة صادرة من القلب والاعتقاد فيها المبادرة والمبادأة. وشاهد ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هذه المعركة قصة أمين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم (حذيفة بن اليمان) كما ذكرها (ابن هشام) ــ حيث يقول حذيفة وقد سأله رجل كيف كنتم تصنعون وقد رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه ــ: (والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق، وصلى رسول الله هويا من الليل ثم التفت الينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ثم يرجع ــ يشرط له رسول الله الرجعة ــ أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟ فما قام رجل من

القوم، من شدة الخوف وشدة الجوع، وشدة البرد. فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني. فقال: ياحذيفة، اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون، ولاتحدثن شيئا حتى تأتينا. قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ماتفعل، لا تقر لهم قدرا ولانارا ولابناءا. فقام أبو سفيان فقال: يامعشر قريش لينظر امرؤ من جليسه؟ قال حذيفة: فاخذت بيد الرجل الذى كان الى جنبى فقلت: من أنت؟ قال: فلان بن فلان. ثم قال أبو سفيان: يامعشر قريش، انكم والله ماأصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، واخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذى نكره، ولقينا من شدة الريح ماترون ماتطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فاني مرتحل. ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فوالله ماأطلق

عقاله الا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى (الا تحدث شيئا حتى تأتيني) ثم شئت لقتلته بسهم.

قال حذيفة فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه وهو مراجل — فلما رآني ادخلني الى رجليه وطرح علي طرف المرط ثم ركع وسجد واني لفيه فلما سلم أخبرته الخبر ..).

ثالثا: سمو الهدف والبقاء مع الله تعالى في حال الخوف والرجاء والحرب والسلم (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا).

رابعا: شكر الله تعالى على نعمته وتذكرها دائما. لأن تذكر النعمة عنوان الشكر ولأن شكرها استدامة لها. ولذلك يؤكد الله تعالى هذا المعنى في نفوسهم بعد انتهاء الحرب فيقول (يأأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا) وفي ختام هذه الآية ينبه الله

تعالى الى أمر مهم في علاقة العباد به تعالى وهو أن شكر النعمة وأداء العبادة يجب أن يكون من القلب خالصا لله تعالى لأنه يعلم ماتكنه الصدور وماتخفيه ومايقصد بالأعمال وسوف يجازى على قدر الحقيقة لا على الظاهر فقط.

وهذا فيه اجابة عن طائفة من الاسئلة التي تتردد على الألسن..ونحاول الاجابة عنها في هذا البحث .. وهي لماذا ومتى وكيف ينتصر المسلمون..؟

ومن الاجابة ان الله تعالى مطلع على سرائرهم و يعلم حقيقتها، ومطلع على أعمالهم و يعرف الهدف منها .. وهو يعلم أن كثيرا منهم يظهرون مالا يسرون .. و يدعون مالا يعملون، و يقولون ولا يعملون .. فلذلك يجازيهم على قدر نياتهم وأعمالهم .. و ينصرهم بمقدار ذلك..

إعانة المظلومين سبب للنصر :

(ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثُباتٍ أو انفروا جميعاً(٧١) وإنّ منكم لَمَنْ ليبُطّئَنّ فإنْ أصابتكم مصيبة قال قد أنعم اللهُ عليَّ إذ لم أكن معهم شهيداً (٧٢) ولئن أصابكم فضلٌ من الله ليقولَنّ كأن لم تكن بينكم وبينه مودةٌياليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً (٧٣) فليقاتل في سبيل الله الذين يَشْرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقُتَلْ أو يَغْلَبْ فسوف نؤتيه أجراً عظيماً (٧٤) ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والوِلْدانِ الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلُها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً (٧٥) الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إنّ كيدَ الشيطان كان ضعيفاً (٧٦) سورة النساء

هذه ارشادات الٰهية وتعاليم سامية لما ينبغي أن يفعله المحاربون وبيان لحال المحاربين ووصف لأحوال الفئات المتحاربة وتأكيد على وجود سمو الغاية حتى يحصل النصر وقد شملت الأمور التالية:ـــ

١ ــ الصفة التي يكون عليها التجهيز الحربي. ينبغي للمسلمين أن يدرسوا أوضاعهم عند التزامهم أو الزامهم بموقف حربي ويحسبوا حساب أعدائهم، ويحذروا كل الحذر من غير المؤمنين ولو أظهروا الصداقة والمهادنة أو استعدوا للمعاونة، وعند النفير والخروج للمعركة على المسلمين أن يقدروا الموقف و يقدروا عدة وعدد أعدائهم فيحافظوا على المسلمين عند النفير والشخوص الى الميدان. فان كان الأفضل بعث السرايا وتفريقهم وتقليل عددهم كان ذلك. وان كان الأفضل تجميع الجيش في ميدان ومسيرة واحدة فعل ذلك. وكله من أجل مصلحة المسلمين. فان جنديا واحدا من جنود المسلمين يساوى الاعداء كلهم، وان ضابطا يقتل في غير موقف القتال يساوى كل من على الارض من غير المسلمين. وكانت هذه خطة وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده والقادة الناجحين ... ومن فرط في هذا الأمر المهم فهو المؤاخذ وهو الذى

لم يستمع الى تحذير الله للمؤمنين. وقد أوقع نفسه وجند المسلمين في الخطر ولم يدفعه عنهم .. وهذا الحذر لاينافي الأمر بالاقدام وبالشجاعة التي يتحلى بها المسلمون فالحذر يكون قبل الموقعة وقبل اللقاء. أما بعد التحام الصفوف وتلاقي الأعداء فهناك تكون شجاعة المسلم وثباته وعدم انهزامه مهما كانت الظروف. وهذه ميزة الجنود المسلمين التي يفوقون بها أعداءهم وهي صفة لا تشترى بالمال ولا تعلم بالمدارس ولكنها شعور ايماني يحس به المؤمن وحده دون سواه ولذلك انتصر المؤمنون على أعدائهم...

(ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا).

٢ ـ التمني والتردد والخور ليست من صفات المؤمنين ولا من صفات المحاربين. وتوجد دائما فئات من هذا النوع تعيش بين صفوف المسلمين، تتمنى على الله وتكسل ولا تحب العمل، بل تظهر أنها مع المسلمين فان أصاب المسلمون

خيرا قالوا نحن معكم وان أصابتهم مصيبة فرحوا انهم ليسوا معهم في الحرب فهم يريدون الخير والمال والمنفعة لهم لقمة سائغة بدون تعب وعمل. أما اذا جد الجد ودعا داعي الجهاد خنعوا واختفوا كالجرذان سراعا الى حيث يبعدون عن أعين المسلمين .. وأصاخوا السمع ينتظرون أخبار الحرب وعلى من تدور الدائرة حتى يميلوا مع المنتصرين أيا كان نوعهم وجنسهم لأن أهدافهم لا تعدو الطمع القريب ولا تتجاوز أنوفهم. وعلى المسلمين في كل حين أن يحذروا من هذا النوع من الناس فهم لايزيدون المسلمين الا ارجافا وتخذيلا ويجب أن تتنزه صفوف المحاربين منهم والا يختلطوا بالجنود مطلقا.

(وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما).

٣ ـ صفة المحاربين المسلمين صفة متميزة معروفة

ونعني بهم المؤمنين الذين يكتب لهم النصر وهذه الصفة هي أنهم يبيعون أنفسهم لله و يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة .. فاذا أقبلوا على الحرب فانهم لايفكرون في شيء سوى رضا الله والجنة وهم على يقين ان لهم من الله اجرا عظميا ان قَتلوا أعداءهم وظفروا بالنصر أو قُتلوا هم وحصلوا على الشهادة في سبيل الله فمأواهم الجنة ونهايتهم السعادة والفوز بالحسنى.. ومن تتوفر فيهم هذه الصفة فانهم مؤهلون لخوض المعركة وقد دعاهم الله لذلك فاستجابوا وهم مملؤون طمأنينة وقناعة بأنهم على حق .. فهم لذلك لايهابون الموت أبدا. ومن لايهاب الموت فانه لايخاف الاعداء ولن يتزعزع حتى يفوز بالنصر أو الشهادة ولهذا ينتصر المؤمنون..

(فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسنؤتيه أجرا عظيما)

٤ ـــ عندما يقرر المسلمون دخول المعركة مع أعدائهم

من أجل نصرة المظلوم فان النصر حليفهم وقد أخذوا إذناً من ربهم بأن يقاتلوا في هذا السبيل ولايترددوا لأنهم على حق. والمظلوم كل من سلب حقه أو أهين ظلما وعدوانا من أى انسان كان. ومن يقاتل لنصرته فهو مجاهد في سبيل الله. فاذا قاتل المسلمون لنصرة المستضعفين من الرجال الذين غلبهم العدو وحصرهم ومنعهم حقهم في الحياة وأخذ أموالهم وأوطانهم فذلك جهاد في سبيل الله ... واذا أمسك العدو الاهل والمال والولد وساوم بهم أو منعهم من ممارسة دينهم فقتاله جهاد في سبيل الله، لأن هؤلاء المظلومين ليس لهم قوة ولا حيلة ولا وسيلة تدافع عنهم الظلم الا اذا نصروا من المسلمين .. ولكن بشرط أن يكون هؤلاء الضعفاء مؤمنين يؤدون حق الله و يلتجئون اليه في السراء والضراء ولايخونون عهد الله ولايعرفونه في الرخاء و ينسونه في الشدة..

(ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من

الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا)

٥ ـ المظاهر والمزاعم تنتهي عند الوصول الى الحقيقة. فكل دعاية وادعاء ومحاولة للظهور بغير المظهر الحقيقي أو نسبة الخير والجودة الى النفس تبطل عند الحرب ولاتجدى صاحبها شيئا. وكل الخطط والتنظيمات والعدة التي يعدها الظالمون والكافرون تضعف وتبطل عند التقائها مع الايمان لا محالة ولو كانت في عرف الناس قوية ضاربة وهذا يعني أن القوة وحدها لا تكفي بل لابد من الاعتقاد الكامل المرتبط برب البشر على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وهذا ثابت في التاريخ الماضي والحاضر. ومن يستعرض الواقائع المشهورة يجد هذه الحقيقة ظاهرة بينة. (فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا).

٦ ـ الخير والشر اذا تقابلا فلابد أن ينهزم الشر وأهله. ولكن بشرط أن تكون الصفات

والأهداف متباينة. ففريق الخير فريق مؤمن مجاهد في سبيل الله، لديه نبل الغاية، وشرف المقصد، وقد تمثل بنفسه كل الصفات التي يرضاها الله تعالى، وبعد عن الدينا وزخارفها ولم تدخل قلبه عند اللقاء. وقد سلك الارشادات الإلهية والتعليمات النبوية في الحرب ومعاملة المحاربين. ويكون الفريق المقابل كافرا بالله ظالما مصرا على ظلمه لنفسه وللغير. يعلم الخير والايمان ولايقبله ولايؤمن بما علم بل يعاند ويتكبر ويدعي أنه على حق، وهو يعلم في قرارة نفسه الحقيقة. لكن كبرياءه ومغالطته تمنعانه من قبول الحق .. هناك وعلى هاتين الحالتين المتقابلتين المتضادتين سيكون النصر حليف الفريق الاول والهزيمة حليف الفريق الثاني دون أدنى شك وريب .. وعلى كل فريق أن يراجع نفسه ويعلم النتيجة الحتمية قبل الدخول في الحرب. وقد ثبت هذا في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وأثبتته الوقائع

التاريخية المسجلة المعروفة لدى العالم كله.

(الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا).

الجهاد والهجرة في سبيل الله :

(ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فَمَنَّ الله عليكم فتبينوا أنّ الله كان بما تعملون خبيراً) (٩٤)

لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أُولى الضرر والمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكُلّاً وعد الله الحسنى وفَضَّلَ الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً (٩٥) درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً (٩٦) إنّ الذين توفاهم الملائكةُ ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مُستضعَفِين في الأرض قالوا ألم تكن أرضُ اللهِ واسعةً فتهاجروا فيها فأولئك مآواهم جهّنمُ وساءت مصيراً(٩٧) إلاّ المستضعَفِين من الرجال والنساء والوِلْدان لايستطيعون حيلةً ولايهتدون

سبيلاً (٩٨) فأولئك عسى اللهُ أن يعفوَ عنهم وكان اللهُ
عَفُوّاً غفوراً (٩٩) ومن يُهاجرْ في سبيل الله يجدْ في الأرض
مُراغَماً كثيراً وَسَعَةً ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله
ورسوله ثم يُدْرِكْهُ الموتُ فقد وقع أجرُهُ على الله وكان الله
غفوراً رحيماً (١٠٠) وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم
جُناحٌ أن تَقْصُرُوا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين
كفروا إنَّ الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً (١٠١) وإذا
كنت فيهم فأقمتَ لهم الصلاة فلْتَقُمْ طائفةٌ منهم معك
وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت
طائفة أخرى لم يُصَلّوا فلْيُصَلّوا معكَ وليأخذوا حِذْرَهم
وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفُلُون عن أسلحتكم وأمتعتكم
فيميلون عليكم ميلةً واحدةً ولا جُنَاحَ عليكم إنْ كان بكم
أذىً من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا
حِذْرَكم إنّ الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً (١٠٢) فإذا
قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فإذا
اطمأننتم فأقيموا الصلاة إنّ الصلاة كانت على المؤمنين
كتاباً موقوتاً (١٠٣) ولا تَهِنُوا في ابتغاء القوم إنْ تكونوا
تألَمُون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون
وكان الله عليماً حكيماً (١٠٤).) النساء

هذه آيات في فضل الجهاد والمجاهدين، ومتى وكيف يكون الجهاد؟ ومع من..؟ ومتى يستمر ومتى يتوقف؟ وعلاقة المؤمنين بربهم الذى يعلم سرهم ونجواهم. وعلاقتهم بالمحاربين والمسالمين من أعدائهم، والتزامهم بشعائر دينهم. وهي في صميم موضوعنا نلخص منها الأمور التالية:ـــ

١ ـــ الجهاد في الاسلام لأغراض نبيلة: المؤمنون مأمورون بالجهاد لتكون كلمة الله هي العليا و يكون الدين كله لله، و يعبد الله في الارض بحرية تامة لأنه وحده المستحق للعبادة فاذا برزت هذه الأمور في الارض فلا جهاد بالسلاح. ومن أجل الا يحصل اعتداء من المسلمين على غيرهم ومن أجل ألا يساء استعمال هذا الأمر العظيم الذى هو الجهاد وهو ذروة سنام الأمر في الاسلام فان الله عز وجل أمر المؤمنين بالتأكد والتثبت قبل أخذ أحد بالقوة ولو حين التقابل في الصفوف. فاذا أظهر أحد الاسلام كف عنه فان اعتنق

الاسلام حقا كان أخا لنا من فوره له مالنا وعليه ما علينا. وان بقي على الاستسلام فقط فله حق الرعاية والأمان والمحافظة على نفسه وأولاده وأمواله .. والحذر الحذر لكل مؤمن أن يكون هدفه المال وقت الجهاد لأن هذا الهدف يفسد الجهاد ويمكن أعداءهم منهم، ويذهب بالفضل ويدعو للخلاف والتفرق والأثرة والأنانية. وقد نهى الله عن ذلك وأقنع المسلمين اقناعا موضوعيا فذكرهم بحالهم الأولى التي لم تكن منهم ببعيد وذكرهم بما لديه من الفضل والنعمة التي سيعوض بها عباده المؤمنين وقد كرر التأكد وعدم التسرع حتى لا يقع المسلمون في المحذور. وقد كان من ذلك حادثة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أسامة بن زيد بن حارثة كان في غزوة (أرض بني مرة)قتل رجلا بعد ماقال (لا اله الا الله) فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مافعل فدعاه وقال: من لك بلا اله الا الله. كيف تفعل بلا اله الا الله يوم القيامة وبدا على

وجهه الغضب. فقال زيد لم يقل لا اله الا الله الا تعوذا بها من القتل عندما رأى السيف يعلوه. فقال رسول الله. ولكن كيف تفعل بلا اله الا الله.؟ . فهذه واقعة واحدة من معاملة المجاهدين المسلمين وحذرهم من غضب الله. وبقائهم مع ربهم في الحالات الحرجة وعدم الغفلة عنه أو نسيانه، وارشادهم الى التعلق به وحده والأمل بما عنده في الدنيا والآخرة.. وشيء يتكرر التأكيد عليه في كل ذكر للجهاد وهو البعد عن الدنيا والأطماع المادية حتى لايفسد الجهاد وتذهب أهدافه السامية. واذا ذهبت ذهب النصر. وعلى المسلمين اليوم أن يعرفوا مواقع قلوبهم وأقدامهم وأيديهم من هذه الأمور اذا أرادوا النصر .. والله خبير بما في نفوسنا وبما نعمل.

٢ ــ المجاهدون في سبيل الله من المؤمنين لهم فضل كبير: الجهاد في سبيل الله بأنواعه فرض كفاية على المسلمين اذا قام به من يكفي سقط عن الباقين والا أثم الجميع. وقد يتعين على بعض

الاشخاص فيصير فرض عين عليهم بأشخاصهم لايعذرون. ومن جاهد لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وهو المفضل عند الله في منزلته وروحه وفضله ورضاه فهو حي عند ربه مكرم حتى يدخل الجنة. ولا مقارنة بين من يجاهد بماله ونفسه وبين من يقعد ويتخلف عن الجهاد فبينهم مثل مابين السماء والأرض. وان كان المؤمن يرجى له خير لكن هؤلاء فضلهم الله لأنهم ضحوا بأغلى شيء في الحياة: النفس والمال عن طيب نفس وصدق نية واخلاص — ولايعذر بالتخلف عن الجهاد سوى المتضررين العاجزين عن اللحاق بالمجاهدين لمرضهم أو شيخوختهم أو سجنهم — وشواهد ذلك في الاسلام كثيرة وواضحة وسياق غزوة تبوك في يوم العسرة حينما اشتد الحر في المدينة وطاب الثمر ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس للجهاد وكان المسلمون في حال شديدة من الفقر والضيق والحر والغزوة الى بلاد في أقصى الشمال ولم

يكن لكثير من الجنود ظهر يركبونه فكانوا مشاة بعد ان طلبوا من رسول الله رواحل تحملهم فلم يجد مايحملهم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ماينفقون. وفي غزوة بدر لم يكن للمسلمين سوى ثلاثة أفراس وبضع رواحل يعتقبونها..

...وهنا يطيب بحث التجنيد الاجبارى لأبناء المسلمين وهو أمر ضرورى لتعويدهم على الكر والفر واعدادهم لوقت الحاجة. وهو من باب اعداد مااستطعنا من القوة. ومن باب التهيئة للجهاد في سبيل الله. واذا كان الأعداء يفعلونها نظاما واستعدادا للحرب فان المسلمين يفعلونه دينا يدينون الله به. واذا أهمل هذا الأمر العظيم خلال حقبة من تاريخ المسلمين فلأن المسلمين كانوا في السابق جميعا مستعدين للجهاد فحياتهم كلها تعويد على القوة والعمل والتضحية والكفاح. أما اليوم فان المسلمين أصابهم من النعيم ومتع الدنيا ماأرضى أبدانهم وأرهف عقولهم وفتنهم بالراحة والدعة وهي

ليست لهم بخلق ولاميراث فأصبح التجنيد أمرا ضروريا لايستغنى عنه المسلمون.. (آية ٩٥،٩٦)

واذا دعا الداعي للجهاد فليس بممكن أن نبدأ من جديد أو أن نطلب الإمهال لنستعد وعلى المسلمين اذا أرادوا النصر أن يستعدوا ماداموا في سعة من أمرهم.

٣ ـ الهجرة في سبيل الله جهاد: فلا يعذر بترك الهجرة أحد الا من له عذر شرعي مثل الحبس أو المرض وضعف الحال عن التحايل للخروج من ديار الكفار. والهجرة واجبة على من لم يقدر على اظهار دينه فالمقيمون بين أظهر غير المسلمين الذين لايقدرون على أداء شعائر دينهم بحرية وعلانية عليهم أن يتركوا هذه البلاد الى بلاد المسلمين أو بلاد يستطيعون فيها الجهر بدينهم واعلانه والدعوة اليه ... وقد أمرهم الله بذلك وأخبرهم أن في الأرض وسائل للرزق خيرا من التي ألفوها واعتادوا عليها. بالاضافة الى الأجر العظيم منه تعالى

حتى انه لو اخترمت المنية أحداً من المهاجرين وهو في طريقه الى بلاد الاسلام فان له أجر المجاهدين في سبيل الله. وهذا يدل على الحرص على تكوين مجتمع اسلامي مستقل بالمسلمين له نظامه وحياته وطريقته في العيش وهو أمر أهمله المسلمون اليوم وكأنهم لايعرفونه ولم يدعوا اليه ويحصل ذلك باصرار المسلمين على ظهور مجتمعهم مستقلا بخيره وفضله واستقامته في أى دار. فاذا لم يتمكنوا بدار فعليهم البحث عن دار آمنة أخرى. والمشاهد اليوم أن المسلمين يعيشون بين أظهر الكافرين ويختلطون بهم في مجتمعهم ويخضعون لنظامهم وعاداتهم كلها وفي مظهرهم وبيوتهم وهذه اذابة للمسلمين وتفريق بينهم واهانة لهم. والفرق بينهم وبين غيرهم انهم يصلحون في الأرض ويعملون الخير الذى يرضاه الله تعالى ويكون سببا في اصلاح الناس ومعنى ذلك أن أى حكومة عادلة سوف تساعد المسلمين على اظهار دينهم وأما الحكومة الظالمة فانها

لاتصلح أن تكون لها ولاية على المسلمين ويجب على المسلمين أن يفهموا هذا فان الله لم يعذر بترك الهجرة سوى المستضعفين الذين ينتظرون الفرج من الله والعون من اخوانهم المسلمين...

ووجود مثل هذا المجتمع أمر ضروري للحياة الاسلامية. وفيه الحلول لمشكلات المسلمين مثل الحجاب وعدم الاختلاط. فانه اذا وجد مجتمع اسلامي كانت هذه الأمور معقولة ومحببة وممكنة التطبيق وهي في البيئات الكافرة صعبة على النفوس ومثار إشكال وتردد عند بعض المسلمين... وتلكم هداية وارشاد الٰهي لتربية الاولاد لأنهم اذا عاشوا في البيئة الكافرة تطبعوا بطباع أهلها وألفوها وبعدوا عن التربية الاسلامية وهذا له خطر عظيم ظهرت آثاره في البلاد التي فيها مسلمون كثيرون ليس لهم مجتمع اسلامي يميزهم ولا مدارس خاصة تعلمهم ولا آباء يعملون بدينهم في كل الأحوال حتى يقلدوهم وهكذا تظهر حكمة

التعاليم الإلهية في كل وقت عيانا أمام المسلمين لكن أكثرهم لايفقهون..

(ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مآواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما).

٤ ــ طاعة الله وعبادته أمر مطلوب للمجاهدين ..

الناس جميعا بحاجة الى الله في كل لحظة وهم في الجهاد ومواقف الخطر أكثر حاجة الى ربهم ــ المسملون مأمورون بالمحافظة على دينهم محافظة تديم علاقتهم بربهم حتى في اللحظات الحرجة. والصلاة عمود الاسلام لايتركها المسلم أبدا وقد نظمها الله تعالى، وأباح للمسلمين أن يقصروا الرباعية في السفر رفقا

بهم وتقديرا لمشقة السفر وصعوبة النزول والرحيل والتجميع للصلاة، وهي رخصة مازال المسلمون يعملون بها. وقد شمل هذا التعليم في الحرب الصلاة وطريقة أدائها فاذا كان المحاربون يستطيعون الصلاة على الصفة التي يعرفونها فذاك والا فانهم يؤدونها بطريقة معينة خاصة بساعة اللقاء مع العدو وتسمى صلاة الخوف. وصفتها أن يقيم الامام الصلاة فيتقدم الصفوف و يقفون جميعا معهم سلاحهم لقاء العدو فاذا ركع ركعت معه طائفة واذا سجد سجدت معه فصلى بهم ركعة والطائفة الأخرى قائمة تجاه العدو في مكانها ثم اذا قامت الطائفة التي صلت معه تثبت وتركع معه وتسجد الطائفة الثانية التي لم تصل الركعة الاولى. ثم يقرأ الامام التحيات والتشهد و يسلم فيسلمون جميعا .... فهذه صلاة جماعة قرب اللحظات التي فيها نهاية الحياة لم يهملها الاسلام وهي تعني الاجتماع والانتظام والوحدة في أتم صورها .. وهي في نفس الوقت تنظيم حربي

واجتماع على القائد واتحاد في المبدأ والهدف والعمل وجمع للقلوب مع الأبدان ولاتجتمع القلوب الا اذا توحدت في محبة ذات الله ... وهو تعويد للمسلمين للتمسك بعبادة الله وعدم نسيانها في كل لحظة الى يوم لقاء الله. ولو نظرنا في هذا التنظيم الدقيق والانظباط التام وقارنا بينه وبين حال المسلمين اليوم وجدنا انهم أهملوا ماأمرهم الله به من مصالحهم وضيعوا أنفسهم فنراهم لايقيمون الصلاة في أوقاتها وهم جلوس ليس لهم مايشغلهم أو يتعللون بأوهى الأسباب لترك الصلاة أو تأخيرها. ونجدهم في الحفلات الرسمية التي يكون معهم فيها غير المسلمين لايقيمون صلاتهم ولايشعرون غيرهم بما يختصون به و يفضلون به غيرهم من التنظيم والالتقاء بربهم و باخوانهم في لحظات معينة بل يشعرون غيرهم بأنهم مثلهم سواء بسواء ويحرصون الا يشعر من معهم بأنهم يخالفونهم في شيء من الحياة وهذا غريب جدا يدل على انتكاس العقول وتغير

المفاهيم فان من ليس له شيء يميزه و يعطيه احتراما خاصا و يفضله على غيره يحاول أن يفعل شيئا و يدعى أنه من دينه أو تقاليده ليجعل لنفسه شخصية معينة واحتراما.. ومن يدرى لعل الزمن يلد عجيبا ولله في خلقه شئون. ولو زهد الناس بما لديهم من التراث لما كان للمسلمين أن يزهدوا بدينهم والله على كل شيء قدير.

(واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا، واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولاجناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا

وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقتا).

٥ ــ الصدق عند اللقاء واجب على المحاربين المسلمين.. يدافع المسلمون الحرب ولايحبون وقوعها فاذا وقعت فانهم أسود كاسرة ترهب الأعداء بقولها وفعلها وثباتها وصدقها في الحرب وعزيمتها واحترامها.. وهذه مناقشة وعتاب واقناع من الله لعباده المؤمنين اذا التقوا بعدوهم أخذوهم بالقوة والشجاعة والصلابة لأنهم لايمنعهم من ذلك مانع، فالألم الذى يتخوف منه بنو آدم يشترك فيه المسلمون وغيرهم من أعدائهم لكن غير المسلمين يحسون بالألم و بوقع الشدة فقط والمسلمون لهم هدف فوق ذلك يهون الألم و ينسى التعب و يذهب الخوف هو رجاء ماعند الله مما وعد به الشهداء والمحاربين من المنزلة العالية في الجنة والتكريم الخاص بهم.. ولهذه الصفة انتصر المسلمون على أعدائهم في لقائهم الصادق معهم. واذا التقوا بأعدائهم وهم خلو من هذه الصفة فهم

وأعـداؤهـم سواء وتبقى الغلبة للأقوى في الآلة أو فـي الـبـدن فـقـط وهذا سر انتصار المسلمين وعدم انتصارهم...

(ولاتهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تـألـمون وتـرجون من الله مالا يرجون وكان الله عليما حكيما).

معاملة الأعداء

(إنّ شر الـدوابِ عند الله الذين كفروا فهم لايؤمنون (٥٥) الـذيـن عاهدتَ منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهـم لايـتـقـون (٥٦) فإمّا تثقفَنّهم في الحرب فشّرِدْ بهم من خـلـفـهـم لـعـلـهـم يذكرون (٥٧) وإما تخافَنّ من قوم خيانة فـانـبـذ إليهـم عـلـى سـواء إنّ الله لايحب الخـائـنين (٥٨) ولايحـسـبَنّ الـذين كفروا سبقوا إنهم لايُعْجِزون (٥٩) وأعدوا لهـم مـااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا مـن شـيء فـي سبيل الله يُوفّ إليكم وأنتم لاتُظلَمون (٦٠) وإنْ جـنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع

العليم (٦١) وإن يُريدوا أن يخدعوك فإنّ حَسْبَكَ اللهُ هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين (٦٢) وألّفَ بين قلوبهم لو أنفقتَ مافي الأرض جميعاً ماألفتَ بين قلوبهم ولكن الله ألّفَ بينهم إنّه عزيز حكيم (٦٣) ياأيها النبي حَسْبُكَ اللهُ ومن اتبعك من المؤمنين (٦٤) ياأيها النبي حَرِّضِ المؤمنين على القتال إنْ يكنْ منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإنْ يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون (٦٥) الآن خفف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضَعْفاً فإنْ يكنْ منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإنْ يكن منكم ألف ٌيغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين (٦٦)) الانفال.

هذه أوامر وتعليمات وتقييمات من الله لنبيه في قيمة الأعداء وقوتهم ومصالحتهم ومنابذتهم وكل مابينهم وبين المسلمين من علاقة ومعاملة وهي في صميم موضوعنا هذا. نستخلص منها العبر التالية :—

١ — ليس لمن لم يؤمن بالله قيمة عند الله تعالى فهم أقل شأنا عنده من سائر الحيوانات لأن

الحيوانات خلقها الله لغاية معينة لخدمة الانسانية فهي نافعة وليس فيها شر. أما ابن آدم فانه اذا لم يؤمن بالله فهو شر من الحيوانات لأن شره يتعدى الى الغير و يصل الى الحيوانات كلها .. وليس له قيمة بدون الايمان مهما بلغ من العدد والكثرة .. وفي ذلك عبرة للمؤمنين حتى لايكبر عدوهم في أعينهم أبدا. و يوم أن بدأ المسلمون يعجبون بعدوهم و يعجبون بما يقول وبما يفعل هانت قيمتهم ودنت منزلتهم وتعالى عليهم عدوهم .. وكل هذا بسبب بعدهم عن العمل بدينهم وعدم الاستفادة من كتاب ربهم وسنة نبيهم..

(ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لايؤمنون..)

٢ ـ اذا نقض العدو العهد وهو لم يؤمن بالله فان ذلك موجب لحربه وسبب لنصر المسلمين عليه. واذا دخل المسلمون الحرب وعدوهم بهذه الصفة وهم على الصفة التي يرضاها الله لهم قولا وعملا فانهم على يقين من نصر الله لهم

.. وقد شدد الاسلام على نقض العهد واعتبره جريمة يستحق فاعله عليه العقوبة، وذلك لأنه خيانة ودليل على أن العدو لم يحترم العهد ولم يوف بما التزم به وخان من أعطاه العهد وهو آمن لم يعد نفسه للحرب .. ولكن على المسلمين ألا يأمنوا عدوهم أبدا وأن يحسبوا للأمر حسابه في أى ساعة من ساعات الليل أو النهار.

(الذين ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لايتقون).

٣ ـ تشديد القبضة على العدو والضرب عليه بيد من حديد أمر إلهي على المسلمين أن يفعلوه اذا استحق العدو ذلك باعتدائه على المسلمين أو ثغورهم أو خيانته للعهد أو عدم وفائه بالتزامه. وهنا يكون موقف المسلمين قويا يؤدب العدو ومن وراءه حتى لاتحدث نفس عدو التهاون بالمسلمين أو عدم هيبة جانبهم..

(فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون).

فيجب على المسلمين حينئذ القسوة

والسلطة عليهم حتى يتذكروا هم أنفسهم عندما يهمون بالاعتداء على المسلمين فلا يقدموا على ذلك وحتى يأخذ غيرهم مما حل بهم عبرة وعظة. أما اذا كان مس المسلمين لعدوهم ناعما أو قبضتهم لينة أو جانبهم سهلا فان العدو سيعتدى عليهم مرة أخرى وسينقض اتفاقاته معهم .. والله عز وجل أراد للمسلمين أن يكونوا مرهوبي الجانب محترمي المقام واذا تخلفوا عن هذه الصفة فقد خالفوا أمر الله وسيتخلى الله عنهم..

٤ ـ الخيانة بحد ذاتها يكرهها الله فلا يرضاها لعباده المؤمنين ولايرضاها لغير المؤمنين وهي مرض وبيل اذا اتصفت بها أمة فسوف تستحق غضب الله. وقد أمر الله المسلمين بالمبادرة والمبادأة اذا أحسوا من عدوهم ميلا الى الخيانة. وعدم الانتظار حتى يبدأهم عدوهم لأن المبادأة تعطى صاحبها حق السبق وتفوت على الآخر الفرصة..

وحينما يأخذ المسلمون المبادرة فانهم

يعاملون الأعداء بنقيض قصدهم و يساوونهم بالعمل اذا تأكدوا من سوء نيتهم وعزمهم على الخيانة للعهد، أو نقض الاتفاقيات. ويحصل النقض بالتخلي عن أى شرط من الشروط أو ممالأة عدو عليهم، أو تحريض فئة أخرى. أو بيعها سلاحا وتعليمها لاستعمال سلاح، أو اذاعة سر من الأسرار .. فالعدو الذى يظهر صداقة المسلمين و يكررها بالقول ولكنه يفعل ماينافضها يكون خائنا للعهد وناقضا للاتفاق ومستحقا للمبادرة بالقتال .. وحينما يقدم المسلمون على حربه بهذه الصفة فان الله سينصرهم عليه مهما بلغت قوته.

(وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لايحب الخائنين).

٥ ــ على المسلمين ألا يغتروا بمظاهر القوة التى يتصف بها أعداؤهم. وألا يخافوا من تقدمهم بالصناعة التي لم يصل إليها المسلمون. وهذا لايعني عدم احتسابها ــ ولكن لا تكون سببا في ضعف المسلمين ولا في تخلفهم أو تنازلهم

عـن حـقـوقـهـم. فان قوة الأعداء ليست مواكبة للايمـان فـليست بقوة وهي تغرهم اذ يعتمدون عـليها وحدها فليس الله معهم ومن لم يكن معه ربـه فقد خذل .. وهذه نقطة مهمة في الموازنة بين الـقـول وفـي اعتبار الدول الكبرى المهيمنة عـلـى الـقـوة والمتحكمة ظاهرا في العالم .. وقد انتهـزت الـدول الـكبرى في زماننا هذا الأُبَّهة وانخـذال الـنـاس جمـيـعا أمامها فكونت لنفسها مـكـانـا أرهـب الـعـالم وقد تكون الحقيقة سوى ذلك..

وقـد كـتـب لـي أن أحضر جلسة من جـلـسـات الأمـم المـتـحـدة فـي (نيو يورك) في الولايات المتحدة عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م وهي جـلـسة مخصصة لمناقشة نزع السلاح .. حضرها أكثر دول الـعـالم .. وقد استمعت لمتحدثين من خمـس دول غـربية وشرقية. وكان الجميع يدلل عـلـى الحـقـيـقة التي يعرفها العالم كله. من أن نـزع الـسـلاح مـن الـعـالم يجـلـب لـه الأمـن والـطـمـأنـينة.. وكان الحاضرون يستمعون الى

هؤلاء المتحدثين بدون اهتمام لاعتقادهم بعدم جدواها فكنت ترى الغادين والرائحين والمتهامسين والمتحدثين بالأحاديث الخاصة. وبعد أن بردت الجلسة وكثرت الأصوات قام مندوب دولة صغيرة فقال كلمة مختصرة اشرأبّتْ لها الأعناق خلاصتها «أن كل هذا الكلام لاقيمة له فالأمر بيد غيركم فان كنتم تستطيعون أن ترغموا دولتين على ماتقولون فقد انتهى الأمر، وان كانتا تنصفان من أنفسهما وتقبلان الحق فقد انتهى الأمر وسوى ذلك كلام يضيع الوقت» وهذه هي الحقيقة فكل الأمم التي تبلغ مائة وستين .. لم تستطع اخضاع دولتين للحق ولو أرادت لاستطاعت لكنهم اغتروا بهذا المظهر وأخذوا بما يدعيه أولئك مع قلة الايمان وعدم التوكل على الله.. فكان هذا موقف العالم. والله عز وجل يرشدنا الى أن كل قوة ليس معها ايمان لاقيمة لها اذ يقول: **(ولايحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لايعجزون..)**

٦ ــ الإعداد الحربى واجب على المسلمين بما يناسب كل عصر و يوازى قوة العدو.بكا ما يستطيعه المسلمون من الإعداد والصناعة والشراء والاتفاق مع الدول والضغط عليهم ومساومتهم على أى أمر يحتاجونه من المسلمين.ولو لم تكن الحرب حاضرة فالقوة والسلاح ترهب العدو وعدو المسلمين عدو الله فكل مافعله المسلمون ضده فهو جائز وعمل مقبول عند الله وفى ميدان الحرب ومظهر القوة التى تقوى جانب المسلمين وتضعف العدو ويجوز للمسلمين الفخر والخيلاء ولم يبح ذلك إلا فى الحرب لأن فيها معنوية للمسلمين المحاربين وفيها مهابة وأحداث تردد في صفوف الأعداء..

(وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم..).

وهذا يعطى المسلمين درسا من الله تعالى بعدم التهاون في لقاء العدو أو أمن جانبه، أو الاعتماد على أمة غير مسلمة لحماية المسلمين أو معاونتهم. فهؤلاء لايعتمد عليهم بل على

المسلمين أن تكون قوتهم نابعة منهم، ومن اعدائهم ومعرفتهم بها معرفة تنفعهم وقت الحاجة .. وهذا لايعني عدم الاستفادة مما يعملون ولايعلمه المسلمون، أو عدم معاملتهم والبيع والشراء معهم بل ذلك جائز للمسلمين.

و يلفت نظر المسلمين الى أن في صفوفهم من في قلبه مرض ومن يسره أن يجد في المسلمين نقصا أو ضعفا، وهو سمّاع للاعداء ينقل أخبار المسلمين وأحوالهم، فهذا مثل الأعداء على قادة المسلمين أن يرهبوه و يظهروا له قوتهم، وألا يطلعوه على مكامن النقص في الجيش أو في التخطيط.. والغريب أن كثيرا من قادة المسلمين اليوم لايهتمون بهذا الأمر بل يتيحون لهذا النوع من الناس أن يطلع على أسرارهم، و ينخدعون بذلاقة ألسنتهم ولينهم وتوددهم اليهم، ولو عذلهم ناصح أو أطلعهم على حقيقة أولئك لقالوا إنهم هم الذين يتقربون الينا في حين ابتعد عنا الآخرون وماعلموا ان هؤلاء سينخنسون عند الشدائد و يثبت من يظنون

أنهم بعيدون .. وسيبدو الصبح لذى عينين وينقشع الغطاء ولايبقى الا الأصلح .. وهذا في السلم فما بال الحرب.؟

٧ ـ الانفاق في سبيل الله باب عظيم حض عليه الله عز وجل ورغب فيه ووعد بمضاعفته للمنفق وادخاره له في يوم هو أحوج مايكون اليه .. وهو هنا في الحرب من أهم الأشياء المقومة لكيان المسلمين .. وكونه هنا يعني معنى آخر من الاستعداد الحربي والدعوة الى الانفاق لتقوية الجيش فاذا كانت موارد الحكومة تكفي لكامل الاستعداد فذاك وإلاّ فان المسلمين جميعا مدعوون للانفاق على العتاد الحربي وتعليم المحاربين وجلب السلاح لهم..

وقد كان ذلك في أول قيام الأمة الاسلامية فان كل النفقات كانت من رؤوس الأموال الخاصة فقد انفق أبو بكر كل ماله في سبيل الله وأنفق عمر نصف ماله وأنفق عثمان الكثير والكثير حتى انه كان يجهز جيشا بحاله حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ماضر عثمان مافعل بعد هذا..) وكذلك عبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح وكان الصحابة ينفقون على قدر استطاعتهم. واذا كان الجهاد في سبيل الله فان أى مسلم يؤمن بالله و يقرأ الدعوة للانفاق في القرآن سيسارع الى الجود ودفع المبالغ الكثيرة في سبيل الله. **(وماتنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون)**.

٨ ــ السلم وابعاد شبح الحرب من أهداف المسلمين، ولايلامون اذا طلبوها ومالوا اليها ولكن متى وكيف؟ هذا الذى يحتاج الى معرفة الشروط الربانية لذلك.. وشرط ذلك أن يكون موقف المسلمين عزيزا غير ذليل **(ولاتهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم)**.. وأن يكون قبول السلم لكف شر كبير واتقاء القتال.. وأن يكون لمصلحة المسلمين لا لمصلحة أعدائهم. وهذا لاينفي قبول السلم اذا عرضه الأعداء اذا كان في مصلحة المسلمين .. أما اذا شم منه رائحة

هدنة تنفع الأعداء لتنظيم صفوفهم وجمع سلاحهم فلا يجوز قبوله أبدا. وقد خدع بعض المسلمين في هذه الهدنة عدة مرات .. وهذا يعني أن تكون قيادة الجيش غير مقتصرة على المحاربين فقط بل يكون فيها المفكرون المدنيون لأن المحاربين ينظرون الى الأمر من زوايا والمدنين ينظرون من زوايا أخرى ورأيان خير من رأى واحد .. وهذا الموقف يجيب عن بعض الأسئلة التي يختلف فيها العلماء عن قضية الدفاع والهجوم في الاسلام فالمسلمون لايريدون الحرب ولايرغبون أن يضحوا بأحد من المسلمين. وليس من هدفهم الهجوم على الغير لكن أهدافهم سامية هي نصر الحق وجعل الدين كله لله. وابقاء كلمة الله هي العليا. فاذا ساد هذا في الأرض لم يكن للحرب معنى. واذا انتهكت حرمات الله واذا عصى الله في الأرض وأشرك معه غيره فعلى المسلمين أن يحقوا الحق بالوسائل الممكنة دون الحرب **(وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**

انه هو السميع العليم). واذا لم يكن سلم واضطر المسلمون للحرب فهم أهله وهم الأشداء الصابرون.

اذا لم يكن إلاّ الأسنة مركبا
فما حيلة المضطر الا ركوبها
واذا لم يكن من الموت بد
فمن العار أن تموت جبانا

٩ ـ الخداع والتحايل متوقع من الأعداء. وخلق لغير المسلمين. وعلى المسلمين أن يحسبوا له حسابه، مع اعتقادهم بأن كل حيل الأعداء ستبوء بالفشل وسينتصر جند الله لأن الله معهم وهو وحده عز وجل يكفي لنصر حزبه .. وهذا تأييد رباني للمؤمنين يقابل مايظهره الأعداء من قوتهم ومعرفتهم بأساليب الحرب وأنواع الحيل. واذا اعتقد المسلمون أن الله معهم فلن يهابوا عدوهم ولن يخافوا صولتهم، ولن يؤثر فيهم ادعاؤهم، وسيكون الاقدام من صفاتهم وحب الموت من أهدافهم. وقد ضمن الله ذلك للمؤمنين.

(وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين .....)
(ياأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين).

١٠ـ الايمان هو الذى يؤلف القلوب ويوحدبينها ويجمع الناس المختلفين. لأنه هداية من الله لعباده ورحمة بهم، وتوحيد القلوب من أصعب المهمات ولايقوى عليه سوى خالق القلوب، و يكون ذلك بالايمان الذى هو نور وانشراح للصدر يستوى فيه عباد الله المؤمنون دون تفريق بينهم. فلو أنفق نبي أو انسان كل مافي الارض مما له قيمة ليوحد بين مجموعة من الناس لما استطاع ذلك مالم يكن مؤيدا من الله، ولو وحد بينهم مظهريا فانه لن يصل الى قلوبهم. وهذا سر اخفاق العالم في حياتهم وفي ادارتهم فقد يظن الحكام أن جمع الناس في بلد واحد أوتحت نظام معين يعني توحيدهم واتفاقهم على وجهة واحدة. وهذا خطأ ذريع تصاب به الأمم.. ويجب أن يعلم أنه اذا لم يكن هذا التوحيد مشمولا بالعناية الالهية فانه

لاقيمة له وسيزول عند الحاجة. ولن يؤدى غايته مطلقا. أما اذا كان مشمولا ــ بعناية الله فانه يفيد و يتم و يؤدى غرضه عند اللزوم وعلى كل أمة أن تقيس مقدار ارتباطها ووحدتها بهذا المقياس وأن تحكم على النتيجة بموجب ذلك. ولنستمع للتقر ير الالهي لهذه الحقيقة.

(وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم).

وهذا خطاب لنبي الله المعصوم والمؤ يد من ربه فكيف بباقي الخلق..

١١ ــ شجاعة المؤمنين متميزة وواضحة لأنهم ليسوا كغيرهم. فهم يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا وهم موقنون باحدى الحسنيين النصر أو الشهادة ــ وذلك يدفعهم للاقدام وعدم التكفير فيما وراءهم، وعدم حسبان قيمة الحياة ــ وهي صفة تدك الجبال الراسيات فكيف بعدو

لايملك شيئا من هذه المقومات ــ بل لديه كل موجبات الغضب من الله ولديه حب الحياة الذى تمكن من كل حواسه وهذا يجذبه الى الوراء، و يشده الى الخلف، ويمنعه من لقاء المستميتين في سبيل الله. وهنا يؤكد الله نسبة هذه الشجاعة الخاصة بالمؤمنين ويحددها بأن الواحد من المسلمين بعشرة من الأعداء فالعشرون يغلبون مائتين في القوة فالواحد باثنين..وقد كان ذلك في لقاء المؤمنين مع أعدائهم. ففي بدر كان الواحد يرهب صفوف الأعداء كلها، وكان الواحد يساوى عشرة بمقياس عدد الجنود. وكان حمزة رضي الله عنه في أحد يخيف كل جيش المشركين فيخترق صفوفهم و يقتل منهم عددا و يرجع سالما..وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يهجم على صفوف الفرس التي تربو على مائة الف وحده فيخترقها و يقتل عددا و يعود فى هجمته ليقتل عددا آخر..ولما فعل ذلك عدة مرات طلب منه عدد من شجعان المسلمين أن

يصحبوه في هجماته النادرة التى تكون عادة قبل التحام الجيشين. وهي نوع خارق من المبارزة، قال لهم إنكم لا تقوون على ذلك فقالوا سنعاهدك فعاهدوه فلم يقووا الاولى والثانية فكانوا يكرون عند أول الصفوف من كثرتها وقوة سلاحها. و بعد عدد من هجماته رضي الله عنه صحبه عدد قليل منهم رضى الله عنهم أجمعين...

(ياأيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لايفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) ونعود لنكرر ونؤكد على الصفة التى عليها هؤلاء الشجعان الفاتكون وهى الايمان الصادق والصبر التام فهنا تكرر ذكر الصبر ثلاث مرات فى آيتين قصيرتين والصبر مّر لايقوى عليه الا المؤمنون الحقيقيون .. وهو صفة يحبها الله وتنفع

صاحبها فی مواضع كثيرة وقد ذكرت فی القرآن فی أكثر من سبعين موضعا.

(مشاهدة) : وعلى ذكر شجاعة المؤمنين وكفاءتهم الشخصية فان تجربة يعرفها الجميع فی زماننا هی تجربة الفلسطينيين مع اليهود. فقد كان اليهود ترتعد فرائصهم اذا مر عليهم المسلم والقرية بأكملها يختفی من فيها اذا لاح لها شبح مسلم وهذا قبل حرب ١٩٤٨م وبعدها بقليل .. وقد شهدت موقفا قريبا من ذلك بنفسی ففی عام ١٩٦٢م كنت فی فلسطين فی (طولكرم)، و(جنين) وقد تذاكرنا هذا الموضوع فی مجلس أحد المؤمنين هناك فقال اننی سأريك ذلك عيانا فانتدب ثلاثة من المسلمين لبسوا ملابسهم المميزة الدالة على أنهم مسلمون ولبست مثلهم وانطلقنا حتى سرنا داخل الارض التی احتلها اليهود فكنا نمر بمستعمرات يهودية فيفر من فی طريقنا ويتركون مابين أيديهم فكان من معی يحلبون البقر ويأكلون من التمر ويقولون اننا اذا أردنا أن نأخذ حيواناتهم فلن يجرأ أحد على معارضتنا

واستمرينا فى طريقنا نسير آمنين نحن أصحاب الدار حتى بلغنا (نثابيا) وجلنا فيها وهى على البحر وعدنا بعد قضاء أكثر اليوم هناك .. وقد أكد لى رفقتى أن المسلمين يدخلون أى قرية و يأخذون ماشاءوا دون معارضة. بل أن المرأة اليهودية تخوف أطفالها بالمسلمين. ونقلوا لى ونقلت الصحف أن اليهود فى المستعمرات اليهودية طلبوا الحماية من حكومتهم فوضعت لهم حراسا من العرب، وكانوا يدخلون بيوتهم قبل الغروب خشية مجىء أحد من المسلمين.

وهذا النوع من الخوافين المرتجفين من الظل غلبوا (المسلمين) فى الحرب .. والسبب معروف سلبا وايجابا فيما أسلفنا من القول بالمقاييس المعنوية والحسية التى أوضحنا.

(ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من واق).

المقاييس الحربية :

«يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إنْ استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون (٢٣) قل إنْ كان آباؤكم وإخوانكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين (٢٤) لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين (٢٥) ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين (٢٦) ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم (٢٧) قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (٢٩)» سورة التوبة.

١ ــ القرب والمحبة والموالاة:

نخضع في الاسلام الى قواعد يعرفها كل مسلم وهي المحبة فى الله والموالاة فى الله فأحب حبيب وأقرب قريب اذا لم يكن مطيعا لله مؤمنا به سائرا على هديه فلا محبة له ولا موالاة ولا علاقة ولا مجاملة حتى الابوين والاخوين الذين لايستغنى عنهم الانسان بحال من الأحوال. ولكن العلاقة مع الله أقوى وأعظم وأبقى وأدوم وأكثر رجاء وتعلقا من العلاقات الانسانية. وحتى كل المرغوبات والمطلوبات فى هذه الحياة من الشهوات والممتلكات لا تعتبر مقاييس اذا تخلف الايمان الذى هو أساس كل علاقة فكل شيء يطفو وزنه ويخف كيله وتطير روابطه اذا لم يكن على أساس من التقوى واليقين وهكذا كان عمل الصحابة رضوان الله عليهم فقد كان الرجل منهم يترك أبويه وأولاده وأهله وأمواله وزوجاته في سبيل الله. ويهجر وطنه جهادا فى سبيل الله. ويرخص كل غال محبة لله

ورسوله. ولذلك ادركوا الحسنيين وحصل لهم الخير كله في الدنيا والآخرة فعوضهم الله أهلاً بأهل ومالا بمال وعزا ونصراً جديدا لم يعرفوه من قبل. وهكذا يجب ان تكون علاقة المسلمين ببعضهم وعلاقتهم مع غير المسلمين اذا أرادوا النصر وان لم يريدوا النصر فليبقوا لاصقين فى الأرض. وقد نزل عليهم غضب الله فيأتى أمره على يد أعدائهم فيذلهم و يستولى عليهم او يأتيهم العذاب مباشرة وهم منتظرون حلول البلاء عليهم ولاحول ولاقوة الا بالله.

«ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون، قل ان كان آباؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين»

٢ ــ الاعجاب والاغترار بالنفس او القوة او العدد

سبب للهزيمة وقد حصل ذلك مع أفضل الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه وذلك انه لما تم فتح مكه للمسلمين ونصرهم الله ومكنهم من عدوهم وفتحوا مكة بعد جهاد طويل كان عددهم كثيرا وقوتهم ضاربة فكان عدد الجيش يزيد عن عشرة الآف بالاضافة الى من انضم اليهم من المسلمين الجدد وقد قصدوا (هوازن) فى (حنين) حيث لم يسلموا بعد واظهروا العناد والمعارضة والمقاومة ولو كانت المعايير والمقاييس ظاهرية لكانت هوازن غير كفء للمسلمين. لكن فئة من الناس ناقصة الايمان كانت مع المسلمين فقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة. فأصاب البلاء كل المسلمين بسبب هؤلاء .. فبعد أن التحم الجيشان وبدا النصر للمسلمين أصابهم اختلاط وتلكؤ وانتكاس فتغلب عليهم الأعداء مع قلتهم فترة من الوقت وارجف الشيطان بالمسلمين والجيش كثير فاختل نظامه وظن من فى قلبه مرض ان المسلمين سينهزمون فأسرعوا الى الفرار .. وقد

كـان ذلـك ابـتـلاء وامـتـحـانـا مـن الله لعباده ليعلمهم انه ليس العدد أو القوة كل شيء فى الحـرب وفـى حصول النصر لكن شيئا أهم من ذلـك يجـب ان يـصـحـب الـقـوة والاسـتـعـداد الحـربـى وهـو الايمـان والـيقين والعلاقة مع الله تـعـالـى والـبـعد عن الكبرياء والفخر والأنانية ...

فـقـام الـنبى صلى الله عليه وسلم الى ربـه يـنـاشده العفو والصفح و يطلب منه النصر للـمسلمين الذين هم عباده. ودعا ربه بما يعلم حـتـى استجاب الله له وأدال الدولة للمسلمين وانـكـشـف أعـداء الله بـعـد أن طـارت قـلوب المنافقين وحدثاء العهد بالاسلام خوفا وفرقا وفر بـعـضـهـم وأشـاع بـعضهم الشائعات وأنزل الله سـكـيـنـتـه عـلـى رسوله وعلى المؤمنين. أما غير المـؤمـنين ايمـانـا كـامـلا فقد ظلت قلوبهم طائره وأبـدانهـم تـرتـعـد الـى مـابعد النصر والى اليوم لاكثرهم الله ...

وهـنـا لابـد مـن الـوقـوف عـنـد هـذه

الموعظة الالهية وأخذ العبر منها فمن ذلك:

أولا :إن الذين ليسوا معنا فى القلب والقالب يجب الا يصحبونا فى الحرب وفى المواقف الحرجة لانهم علينا لا لنا. وهم يعرفون بقولهم ولونهم اذ يتلونون كما تتلون الحرباء وتختلف نظراتهم فى الأمن والخوف ولابد من اختيار جيش المسلمين قبل اقترابه من العدو.

ثانيا: يجب ان يعرف المسلمون أن البلاء اذا وقع يعم الصالحين فهذا جيش المسلمين فى (حنين) فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأفاضل المجاهدون ومع ذلك منوا بالبلاء الذى كاد يفضى للهزيمة لولا لطف الله تعالى ونزل البلاء بهم جميعا. بسبب معصية عدد منهم. ومعنى ذلك ان يطهر المجتمع الاسلامى من أمثال هؤلاء، والجيش يعصر عصرا و يغربل غربلة ابتداء من المشرف والقائد الى أقل جندى او عامل فى الجيش.

ثالثا: إن رضا الله تعالى واغراق نعمته على قوم لايكفى للظن بأن هؤلاء منصورون دائما اولا

يغلبون بل يكون ذلك سببا لعدم بعدهم عن الله والتزود من عبادته والتعرض لرحمته وعطفه فى كل لحظة لانه اذا تخلى عن المسلمين لحظة تولاهم الشيطان فيها.

رابعا: عدم تخوف المسلمين من عدوهم ولو كان أكثر عددا وعدة وعدم اعتبار هذه المقاييس وحدها لان المؤمنين يزيدون عن غيرهم بمعايير أخرى هى الايمان والتوكل على الله والجهاد فى سبيله وحده دون أهداف أخرى. وليعلموا انه عند تخلف الهدف فى حنين عن الهدف الذى يرضاه الله تعالى تخلفت النتيجة.

خامسا: عدم موالاة أعداء الله لانهم أقوى منا عدة أو أكثر منا عددا وعدم محبتهم أو التعاون معهم الا فيما يصلح حال المسلمين و يقوى موقفهم. وعدم الثقة بهم فهم جميعا أعداء المسلمين لا إشكال فى ذلك وان اظهروا الولاء باللسان فعندما يضيق الامر وتدعو الحاجة الى العون يتخلفون و يقولون مثلما قال الشيطان لأوليائه انى برىء منكم انى أخاف الله. فهؤلاء

يتبرؤن ولايخافون الله. وويل لمن يعتمد عليهم اعتمادا بقطع صلته بالله.

سادسا: لو علم المسلمون اليوم بهذه الحقائق ووعوا هذه المواعظ لعرفوا كيف تكون علاقتهم بأعدائهم وللمسوا مكان ومواقع أقدامهم، ولكنهم يغفلون و يلهون وتؤثر عليهم البيئة ومن حولهم من الناس ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين. ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم)

٣ ـ القتال كيف ومع من؟!.. تحدثنا عن جانب منه هنا وليس هو موضوعنا ولكنا تعرضنا لبعض أحواله وموقف المسلمين من غيرهم

يحتاج لمؤلف جديد مستقل بذاته.. وهنا يعطى الله المؤمنين بل يأمرهم بقتال من لايؤمن بالله واليوم الاخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون بدين الاسلام الذى هو الحق من اى طائفة او لون أو جنس كانوا أو مكان. لأنهم يجتمعون على معصية الله ومحتاجون للهداية فاذا لم يهتدوا فان المسلمين يقاتلونهم جميعا سواء كانوا مشركين أو ملحدين أو أهل كتاب لم يؤمنوا بدين الاسلام. فهم جميعا أعداء للمسلمين لايرقبون فيهم إلاً ولا ذمة وهم يجتمعون على المسلمين وهم ليست لهم حرمة تمنع عنهم القتال وتجعل المسلمين يرفعون أيديهم عنهم.

«قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين اوتو الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون»

النفير إلى الجهاد وصفات المجاهدين

يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاّقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل (٣٨) إلاّ تنفروا يعذبكم عذاباً اليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير (٣٩) إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إنّ الله معنا فأنزل سكينته عليه وأيدّه بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم(٤٠) انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إنْ كنتم تعلمون (٤١) لو كان عَرَضاً قريباً وسَفراً قاصِداً لاتّبعوك ولكن بَعُدَتْ عليهم الشُقَّةُ وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يُهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون (٤٢) عفا الله عنك لِمَ أَذِنْتَ لهم حتى يتبيّنَ لك الذين صدقوا وتَعْلَمَ الكاذبين (٤٣) لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين (٤٤) إنما

يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون (٤٥) ولو أرادوا الخروج لأعدّوا له عُدّةً ولكن كره اللهُ انبعاثهم فثبّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين(٤٦) لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خَبالاً ولأوضعوا خِلالكم يبغونكم الفتنةَ وفيكم سمّاعون لهم والله عليم بالظالمين (٤٧) لقد ابتغوا الفتنة من قبلُ وقلّبوا لكَ الأمور حتى جاء الحقُّ وظهر أمرُ الله وهم كارهون (٤٨) ومنهم من يقول إئذن لي ولا تَفْتِنّى الا فى الفتنة سقطوا وإنّ جهنم لمحيطة بالكافرين (٤٩) إنْ تُصِبْكَ حسنة تَسُؤْهُم وإنْ تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون (٥٠) قل لن يصيبنا إلاّ ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون (٥١) قل هل تَرَبَّصون بنا إلاّ إحدى الحسنيين ونحن نتربَّصُ بكم إنْ يصيبكم اللهُ بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنّا معكم متربصون (٥٢)» سورة التوبة.

١ – أمر عام بالنفير

كل المسلمين البالغين يجب عليهم السعى للجهاد حسب الحال الداعية لذلك فالجهاد من

حيث هو فرض كفاية اذا قام به من يكفى سقط عن الباقين. واذا جاء الامر بالنفير العام وجب على كل مسلم قادر الاستجابة والخروج للجهاد فرادى وجماعات خفافا بأنفسهم و بخيلهم ورجلهم وثقالا باستعدادهم وقوتهم فمن كان معه مال وفضل أعطاه للمجاهدين المسلمين ومن لم يكن معه سوى نفسه بذلهافى سبيل الله. وهذا الامر الرباني سلك في ابلاغه طريقين: الاول: طريقة الترغيب والاقناع فالمسلم لايكون ملتصقا بالارض خائفا قانعا همه الحياة الدنيا وقد حرك الله الهمم بالوعد بالخير والفضل العظيم لمن جاهد بماله ونفسه وبمخاطبة العقل والضمير الحي بالاقناع بأن الحياة الآخرة خير وأبقى من هذه الحياة فالعاقل المؤمن لايبيع الآجل بالعاجل ولايغتر بالحاضر فينسى المستقبل ..«ياأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل» «انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون».

الثاني: القوة والوعيد اذا لم يجد الطريق الاول ..
وهو وعيد شديد يحرك الجماد و يرفع القاعدين الى مصاف المجاهدين فمن لم ينفر مع المسلمين يعذبه الله عذابا شديدا. ويهلكه و يأتى بأناس آخرين يجاهدون و يسارعون للنفير. وذلك هين على الله فمن لم يستجب لأمره فهو هين عليه و بكلمة كن يكون إهلاكه واستبداله بغيره وكل ذلك بعلمه وحكمته «الا تنفروا يعذبكم عذابا شديدا ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير». ومن ذلك نخرج بنتيجة حتمية تعطينا مفهوما جديدا فى تهيئة المحاربين وهو وجوب الجهاد على كل المسلمين فمن تخلف فقد عصى الله تعالى. وهذا يعنى أن للحاكم إلزام جميع القادرين بالجهاد، وانه لايعفى من هذا الواجب أحداً الا من له عذر واضح مقبول. ولو أن المسلمين اخذوا سياستهم من دينهم لكان لهم مغنيا ولشعوبهم مقنعا، ولنفوس المجاهدين مرضيا، وللنتائج الحسنة محققا. ولكنهم زهدوا وازهدوا فيه وابتغوا الهدى من غيره فلم يجدوه. ولكنا لانيأس من رحمة الله، ولانقنط فهو أرحم بنا منا ومن لديه هذه

الكنوز الإلهية لن يضل ولن يغلب ـ ان شاء الله.

٢ ـ نصر الله لنبيه يغنيه ويكفيه عن الناس:

رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى الله المعصوم المحفوظ اختاره الله واصطفاه على غيره وكلفه بهذه المهمة الشاقة. وكان الله عز وجل يستطيع ان يحميه من كل أذى وأن يكفيه شر خلقه وأن يجعل الأمة تستجيب له من أول يوم أعلن رسالته. ولكنه جعل حياة نبيه مثلا حيا باقيا للمجاهدين فى سبيله والداعين الى معالى الأمور. وقصة ايذاء رسول الله ومضايقته في مكه من أقرب الناس اليه معروفة انتهت بارغامه على الهجرة من (مكه الى المدينة) وهنا يبين الله تعالى انه عز وجل كفيل بنصر عبده ورسوله فقد نصره وهو وحده لم يكن معه سوى صاحبه (ابى بكر) وقد خرج من الحصار المضروب عليه فى بيته ونجا بنفسه وقد صحبه (ابو بكر) واختفيا فى (غار ثور) ولحق بهم عدد كبير يريدون القضاء عليهما وقد أدركوهما فلو أبصر احدهم موقع قدمه لرآهما ولكن الله عمى عن نبيه ونصره ونجاه

من أعدائه فى اللحظات الحرجة التى لاينجو منها احد الا بأمر الله. وقد أنزل الله سكينته على رسوله فكان مطمئنا مؤمنا بأن الله معه ولن يتخلى عنه وقد طمأن هو صاحبه وأدخل فى قلبه الرضا حينما قال له: «ماظنك باثنين الله ثالثهما»...«فاذهب الرعب من قلب (ابى بكر) وصارا ينظران الى أعدائهما و يستمعان الى حديثهم، وهم يرغون و يزبدون ويحرضون و يدفعون المكافآت لمن يدلهم على محمد وصاحبه.. وقد باءت كل محاولاتهم بالفشل. وانتصر حزب الله مع قلته وعدم وجود سلاح معه او حماية ظاهرة تحميه من البشر..

«الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها. وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم.»

استشكال: قد يقول أحد الناس ان هذا نبى الله وقد نزلت عليه المعجزات ومن منا سيكون مثل

رسول الله؟ ونقول: نعم ان المعجزات قد انتهت بنهاية الانبياء بوفاة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وقد مرت معجزات فى سياق ماذكرنا من الشواهد القرآنية ولكنا لم نقصدها بالبحث لاننا لم نطلب من المسلمين المعجزات أو خوارق العادة.. بل نطلب منهم ونبرز لهم اسبابا معقولة وفى مقدور كل انسان أن يفعلها. مع أن عناية الله ونصره تتنزل على المؤمنين فى كل زمان ومكان وأن نصر الله قد يكون بأسباب كثيرة منها النصر الظاهر بالقتال والهزيمة للاعداء ومنها خذلان الاعداء وتسليط العوامل الطبيعية عليهم. ومنها نوادر قد تحدث ونحن لاندركها او قد ندركها ونعرفها مثل ماحصل لخليفة المسلمين (عمر بن الخطاب رضى الله عنه) عندما كان المسلمون ملتحمين مع الفرس فى موقعة (اصبهان) فجلى الله المعركة لعمر وهو يخطب يوم الجمعة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى (المدينة المنورة) فنادى بصوت يسمعه كل من فى المسجد «ياسارية الجبل ياسارية الجبل...! «وسارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر ارسله عمر الى فارس عام ٢٣».

وعندما كان المسلمون فى (عهد هارون الرشيد) فى معركة مع اعدائهم كان فى طريقهم عقبة يصعب صعودها فتجاوزها المسلمون ثم جاء بعدهم دواب محملة عسلا فسقط بعضها وانصب العسل فى العقبة فجاء الاعداء فعجزت جيوشهم عن الصعود وسقط كثير منها ومنعهم الله من اللحاق بالمسلمين فقال المسلمون: الله أكبر ان لله جنودا من عسل..

وقد ذكرنا ذلك لاثبات امكان تنوع النصر ولو بشىء غير منتظر او مرئى للعموم .. ولكن هذه الامور لاندعو للاعتماد عليها بل كل الاعتماد والتوكل على الله ثم على العمل الذى امرنا به الله تعالى.

٣ ـ المنافقون سرطان متمكن فى المجتمع الاسلامي:

المنافقون بلاء وشر مستطير أصاب المسلمين فى أول مراحل تاريخهم عندما بدأ المجتمع الاسلامى

يكتمل بناؤه فى المدينة المنورة ــ وهنا وعندما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزوة تبوك كان الوقت حارا والتمر فى المدينة قد بدا صلاحه وطاب المقام بين النخيل فصعب الأمر على المسلمين ولكنهم ضحوا بالدنيا فى سبيل الجهاد مع رسوله اما المنافقون فقد ثقل الأمر كثيرا عليهم ولم يكن عندهم من الايمان ما يقاوم هذا الخوف. فبدأ خلقهم يبدو فنهم من جاء يستأذن رسول الله و يتعلل بعلل واهية ومنهم من يبين الأسباب و يدعى انه سيفتتن اذا ذهب للغزو لانه سيرى نساء جميلات هناك. ومنهم من يقسم الايمان بانه مع رسول الله ليقنعه ورسول الله يعلم المنافقين واحدا واحدا و يعلم انهم ليسوا مع المسلمين بقلوبهم وقد فضحهم الله تعالى وعاتب فيهم رسوله حيث يأذن لهم. وأبان الله تعالى طو يتهم وانه انما منعهم النفاق وعدم حبهم لله ورسوله وخوفهم من وقوع الحرب وبعد المسافة. و بين أن هذا خلقهم وهو ظهورهم بوجهين وحبهم للحياة وبغضهم للمؤمنين وترددهم وما يداخل قلوبهم من الر يب وسوء الظن. أما المؤمنون فانهم مع رسول الله بقلوبهم

وقالبهم وأسرارهم وقولهم وفعلهم ولن يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اعفائهم من الغزو بل يرحبون و يفرحون بالجهاد فى سبيل الله وفى مصاحبة رسوله فى العسر واليسر والمنشط والمكره...

وقد أرشدنا الله تعالى كما أرشد نبيه الى أن هذا النوع من الناس شر ومرض فى صفوف المسلمين وأنهم يظهرون مالا يبطنون. وأنه تعالى علم بنيتهم وقصدهم فلم ييسر سبل الخير لهم.. ومنع الله خروجهم مع المسلمين حتى لايتبطوهم، و يدخلوا فى نفوس بعضهم الخوف، و بين لعبده أنهم يحبون أن تشيع الفتنة والفرقة بين المسلمين وانهم يعملون دائما وابدا ليفتنوا المسلمين عن دينهم.

وأمر المنافقين معروف للمسلمين وقد فضحهم الله فى كتابه الكريم ويهمنا هنا أن نضع يد المسلمين فى عصرنا ومن يأتى بعدنا الى هذا السوس الذى ينخر فى المجتمع الاسلامى ليحذروا منه وليعرفوه جيدا حتى يداووه بما يقضى عليه ويخلص من شره.. والدواء الناجح هو استئصال

المرض من أساسه وتخليص البلد منه..؟

وقد يكون كثير من المسلمين لايسمع كلمة النفاق او اسم المنافقين الآن وذلك لتسميهم بغير اسمهم وكثرتهم وتشكلهم بأشكال كثيرة وضعف المؤمنين ومجاملتهم للمنافقين وتغيير الاسماء واختلاف الألقاب لايغير الحقيقة .. والله عز وجل أصدق القائلين حيث يقول «ولتعرفنهم فى لحن القول ..» «اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون» فهم معرفون لاإشكال فى ذلك. فمن لايحب الله ورسوله فهو منافق، ومن لايحب كتابه ولا سنة نبيه فهو منافق، ومن يشكك فى القرآن أو فى الحديث أو يثير حولها الشبهات فهو منافق. ومن يحتقر المسلمين ويمدح أعداءهم فهو منافق، ومن يعجب أو يبهر بعمل أو بخلق الكافرين فهو منافق. ومن يتعاون مع الكافرين فهو منافق . وعلى كل انسان أن يعرف نفسه وان يقيس عمله على ضوء ذلك والله أعلم بالسرائر..!

(لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون، عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين، لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون، ولو ارادوا الخروج لا عدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين، لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين، لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون، ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين.)

٤ ـ اعداء المسلمين:

كل من لم يكن معنا فهو عدونا. وكل اعدائنا يجتمعون على بغضنا والفرح بما يصيبنا من سوء والحزن لما ينالنا من خير. وهم ان اختلفوا فى

درجات هذا الاتفاق فهم سواء ولو افترقوا فى سبب بغضنا الذى يبدأ من العقيدة و ينتهي بالحسد والحقد...

حتى العدو الذى هو منا ومن دمنا و يعيش بين اظهرنا يسشارك اعداءنا فى العقيدة بهذه الصفة التى تخرجه من الاسلام وان انتسب اليه. وهو الذى يجعل المسلمين يفترقون و يصعب اتحادهم وجمع كلمتهم لان فيهم من ليس منهم. وقد أعطانا الله تعالى الحكم بيننا وبينهم وعلمنا كيف نعاملهم وكيف نرد عليهم وحذرنا من الانخداع بهم مع لين بعضهم وقدرته على التشكل والتلون. وأمرنا بالتوكل عليه وحده دون سواه .. وقوى جانب المؤمنين برفع معنويتهم وعلو هدفهم .. فاذا كان عدونا ينتظر ان يصيبنا سوء أو يؤثر على بعضنا باستشهاد طائفة منا فى سبيل الله. فاننا نرد عليه بقول الله«**قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون**».

فهذا خلق الكافرين والمنافقين دس وكيد وحنق وحقد. وخلق المؤمنين ايمان وتوكل على الله وصراحة لا تبقى فى النفس شيئا ورغبة فى الجهاد وفيما عند الله وهدف سام يقضى على كل عقبة فى طريقه وتسترخص من اجله الدنيا وهو احدى الحسنيين النصر او الشهادة وكلاهما خير .. وقوة صارخة صارمة تدفع بالمسلمين الى التضحية والفداء الشيء الذى لا تقوى عليه المخترعات الحديثة ولا الحكومات الجديدة ولا التنظيمات الحربية المتعارف عليها، ولا الدراسات النفسية التى أبدع الناس فيها.. وهذا هو سر انتصار المسلمين فان من يبتغى احدى الحسنيين لن يهاب الأعداء ولن يخاف الموت ولن يرهب الأعداء الذين يقفون فى وجهه ...

واذا استطاع الحكام والقادة فى الجيش أن يرتقوا بمعنوية الضباط والجنود فيصلوا بها هذه المنزلة فان النصر لهم من الله! والوصول الى هذه المنزلة يكون . اولا بمثالية الحكام والقادة وخلوصهم من ضير الدنيا وحبها القاتل وسلوكهم المستقيم. وثانيا:

بتنشئة هذا النوع من المحاربين وصقلهم واختيارهم واصطفاء القليل منهم.. وثالثا: بصفاء المجتمع الاسلامى وتظافر كل الجهود فى هذا السبيل والاعتقاد بان الجهاد فى سبيل الله ذروة سنام أمر الاسلام وأنه لاعز لهم بدونه وهم جميعا يعملون له حسب مسئولياتهم فالمواطنون يقدمون شبابهم للفداء والمسئولون فى ادارة الدولة والتنظيم الحربى ينظمون هذا الامر ويخلصون العمل لله تعالى..وفى تلكم الحال وفى ذلك اليوم يكتب الله النصر للمسلمين..وما ذلك على الله بعزيز ...!

جولتان مع اليهود

«وقضينا إلى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولَتَعْلُنّ عُلُوّاً كبيراً (٤) فإذا جاء وعد أُولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً (٥) ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً (٦) إنْ أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإنْ أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة

وليتبّروا ما عَلَوا تتبيراً (٧)» سورة الاسراء.

قصة اليهود وعلاقتهم بالله ومعاملتهم للانبياء ومعاندتهم للحق طويلة معروفة سجلتها الكتب السماوية والتواريخ المنصفة ولسنا فى مجال ذكر ذلك التاريخ لكن نثبت هنا ما يتعلق بموضوعنا وخاصة الجزء الخاص بالعلاقة مع المسلمين ومانتهى اليه الحال بين اليهود والمسلمين.

١ ــ **المسجد الاقصى والقدس:** بدأت هذه السورة المعروفة باسم **(الاسراء)** بخبر مسرى النبى صلى الله عليه وسلم من **(مكة)** الى **(بيت المقدس)** على **(البراق)** ومعه **(جبريل)** عليه السلام ثم بذكر خبر المسلمين واليهود فيها .. فالحديث فى القدس ومايجرى على ارضها من صراع بين عباد الله المؤمنين وبين اليهود..

٢ ــ **كتب اليهود:** لو اعترف اليهود لجاؤا بالتاريخ الحقيقي المسجل فى كتبهم وما سيئول اليه تاريخهم الذى يكون فيه نهايتهم لكنهم اخذوا

الجانب الذى يرضيهم و يكفى لبعض انصارهم وتركوا الجانب السيء والنهاية الحتمية التى يكرهونها. فقد ذكر الله هنا انه أنزل الكتاب على موسى يهتدى به بنو اسرائيل، ولكنهم لم يهتدوا، والله عز وجل يعلم ذلك، وقد قدر بعلمه وحكمته نهايتهم على أيدي عباد الله المؤمنين. فهذا الوحى الذى قدره الله وذكره فى التوراة وفى القرآن يعلمه اليهود وهو انه تعالى قضى وقدر أنهم سينتصرون فى تاريخهم مرتين فى كل مرة تكون لهم الغلبة و يكون لهم دولة. ولكنهم يفسدون ولا يصلحون و يعصون ولايطيعون..مع انهم كانوا يعدون و يقسمون انهم ان انتصروا سيطيعون الله و يقبلون هديه لكنهم لايفون بالعهد و يعميهم حب المادة عن الهدى..

وقد فصل الله تعالى و بين أن للمسلمين مع اليهود جولتين.

الجولة الاولى: ينتصرون وتكون لهم دولة فيفسدون

فـى الارض و يـقـتـلـون الانـبـياء ويخدعون و يكذبون فـيـبعث الله عليهم عبادا له مؤمنين صادقين يجاهدون فـى سـبيل الله لاحقاق الحق ونشر العدل والاصلاح فـى الارض فـيـحـتلون الديار و يطردون اليهود وتنتهى دولة اليهود و يتفرقون فى الارض اذلاء مبغضين.

«فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا».

ونـنـقـل هـنـا نـشـرة من مجـلـة (اخـبـار الـعـالم الاسـلامـي) الـتـى تـصـدرها رابطة العالم الاسلامى بمكه وهى:

«فـالـقـدس الـعـربية الاسلامية لها مكانة خاصة في نفوس المسلمين جميعا فى مشارق الارض ومغاربها وتـنـبع هذه المكانة من تشر يف رسول الله صلى الله عـلـيه وسـلـم لهـا فـى رحـلة الاسراء والمعراج والتى كانت الطرف الاخر لهذه الرحلة الاغر. وحلوله عليه الـصلاة والسلام بأرضها. وارتباطها بالمسجد الاقصى المـبـارك الـذى بارك الله حوله، اولى القبلتين وثالث الحـرمين الـشـر يـفين وهـو احد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال الا اليها».

وممـا يـزيـد مـن مـكـانـة الـقدس فى العالم الاسلامـى، انها تضم فى عدة نواحى منها« رفات» عـدد من صـحـابـة رسـول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهـديـن والشهداء الابرار على مر السنين والايام مـنذ الفتح الاسلامى لها على يد القائد الاسلامى « ابو عبيدة بن الجراح» فى عهد الخليفة العادل «عمر بن الخطاب» رضى الله عنهما، ومرورا بكل حركات الجـهـاد الـعـربـية والاسلامية فى ارض فلسطين ضد اعدائهم.

وهـذه لمحـة عـن مـديـنة القدس العربية منذ نـشأتهـا، وحـتى احتلال الصهيونية ومحاولتهم القضاء على معالم الاسلام فيها، وتهو يدها.

القدس ... قبل الإسلام :

مما لايختـلـف عـلـيـه اثـنـان. ومما هو ثابت تـاريخـيـا ان القدس مدينة عربية اسلامية منذ نشأتها وكـانـت لهـا مـكـانـة خـاصـة فى قلوب العرب قبل اليهوديـة والمسيحية والاسلام. وقد بنى مدينة القدس

قبيلة تسمى «بيوس» وهى قبيلة من قبائل العرب الاوائل، نشأت هذ القبيلة فى الجزيرة العربية وترعرعت فيها، واستوطنت مدينة القدس عام «٣٠٠٠» قبل الميلاد .. وقد دخلت القدس تحت حكم بنى اسرائيل على يد داود عليه السلام سنة «١٤٠٩ ق.م» على اثر الغزو اليهودى لبعض أجزاء من فلسطين. ولما توفى داود، حكم البلاد ابنه سليمان عليهما السلام. وبعد سليمان تولى الحكم فيها ابنه « رحبعام» ولكنه اقتتل مع اخيه «يربعام» فانقسمت المملكة بذلك الى شطرين يهوذا وعاصمتها اورشليم «القدس» واسرائيل وعاصمتها شكيم «نابلس». وظلت القدس بعد ذلك اربعة قرون تعيش فى فتن وقلاقل واضطربات حتى أصبحت فى تلك الفترة نهبا مقسما بين الامم المجاورة.

وفى عام ٥٩٠ ق.م. خذل اليهود ونفوا الى بابل. وفقدوا كيانهم السياسى بعد ذلك زمنا طويلا. الى ان ظهر «المكابيون» عام

(١٦٧ق.م) فاستولوا على القدس. ولكن مالبث ان دب الخلاف بينهم حتى ضعفوا، وحينئذ انتهز القائد الروماني «بومبى» هذه الفرصة، واحتل مدينة القدس وقضى على حركة الشعب اليهودى قضاء تاما. وفى عام«٧٠ميلادية» حاصر «تيطس» مدينة القدس العربية وذاق السكان اليهود على يديه كل صنوف الأذى وألوان العذاب. وفى عام «١١٧ — ١٣٨م» وحينا استولى الرومان على القدس. ثار اليهود — كعادتهم وخلقوا الفتن، وأشاعوا الاضطرابات فى القدس، ورأى الرومان انه لا أمان ولا هدوء ولا سلام فى البلاد الابخروج اليهود منها، فقاتلوهم وقهروهم وامروا بطرد من بقى منهم على قيد الحياة ودمروا المدينة تدميرا كاملا. وفى عام«٣١٣م» أصبحت القدس تحت الحكم البيزنطى بقيادة قسطنطين. وفى عهده بنيت كنيسة القيامة.

وقد استولى الفرس على مدينة القدس عام«٦١٤م» فى زمن هرقل. ودكوا معالمها. وهدموا كل ماوجدوا من دور للعبادة فيها، وكان هذا

بتحريض من اليهود الا ان هرقل مالبث ان استعاد القدس منهم. بعد ان نظم صفوفه واستعاد قواته.. ولكن الضعف كان قد تمكن منه الى درجة أنه لم يستطع مقاومة المسلمين الذين دخلوا القدس وحرروها منه عام «٦٣٦م».

القدس ... في ظل الإسلام :

تم الفتح الاسلامى لمدينة القدس العربية على يد القائد الاسلامى «ابو عبيدة بن الجراح»، فى عهد الخليفة الثانى «عمر بن الخطاب» فقد جهز المسلمون جيشا قويا قوامه خمسة وثلاثون ألفاً من المقاتلين البواسل وولوا شطرهم نحو بيت المقدس. وبعد حصار دام أربعة أشهر للمدينة طلب سكانها من قائد جيش المسلمين ان يصالحهم على صلح أهل مدن الشام. وان يكون الخليفة العادل عمر بن الخطاب هو المتولى للعقد. فكتب ابو عبيدة بذلك الى أمير المؤمنين. وخرج «صفرونيوس» بطريق بيت المقدس، لمقابلة أمير المؤمنين. فأعطاه

عمر رضى الله عنه وثيقة الأمان المعروفة تاريخيا «بالعهدة العمرية» وتسلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مفتاح بيت المقدس. وهكذا تم الفتح للمسلمين .. وارتفعت راية الاسلام فوق القدس. وصارت القدس بعد ذلك تحت حكم الأمويين في عهد معاوية بن أبي سفيان عام«٦١٤م» ثم تلاهم العباسيون .. وهكذا استمر خلفاء المسلمين وولاتهم فى حكم هذه المدينة المقدسة والمحافظة عليها وعلى أهلها، وعلى مقدساتها الاسلامية والمسيحية على السواء، وهنا تتجلى سماحة الاسلام وسمو تعاليمه، بما يبثه من وشائج المودة والرحمة فى نفوس المسلمين، فى معاملاتهم لغير المسلمين . فقد عاشوا فى أمان على أنفسهم وأموالهم، وعلى دور العبادة التى يؤدون شعائرهم فيها. فى ظل الاسلام.

استمر الحكم الاسلامى للقدس العربية الى ان احتلها الصليبيون فى غزوة بربرية سنة «١٠٩٩م» وقد ارتكبوا من الفظائع والمنكرات ماتحدثت عنه كتب التاريخ من عربية وأجنبية،

وقتلوا تسعين ألفا من سكانها .. وأشعلوا الحرائق فى الأخضر واليابس بها. ولكن الحال لم يدم لهم طويلا .. فلقد هب القائد العربى صلاح الدين الايوبى طيب الله ثراه ــ بعد انتصاره فى معركة «حطين» الى تجميع قواته وتنظيم صفوفها، وتوجيه المعركة الى بيت المقدس لتحريره واسترداده من أيدى الصليبين. وبعد معركة ضارية انتصر عليهم، واسترد بيت المقدس، ودخل القدس فى رجب سنة «٥٨٣هـ» الموافق (١١٨٧م). ثم دخلت القدس تحت حكم المماليك عام«١٢٥٠م» إلى أن جاء الأتراك العثمانيون سنة «١٥١٧م» وأخذوها منهم. وظلت تحت حكمهم حتى قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م حين دخلها القائد الانجليزى اللورد اللنبى سنة «١٩١٧م» وبقى البريطانيون بالقدس حتى عام ١٩٤٨م يوم أعلنوا انسحابهم منها فى مؤامرة مكشوفة نتج عنها تنفيذ وعد «بلفور» المشئوم باقامة دولة اسرائيل.

القدس ... في عهد الاحتلال الصهيوني :

منذ أن دنست أقدام الصهونية أرض فلسطين المقدسة.. وهى ماضية فى تحقيق مخططها التوسعى الذى رسمه لها ابو الصهونية وعقلها المفكر «هرتزل» فى المؤتمر الذى عقده فى مدينة «بال» بسويسرا عام ١٨٩٧م. والذى أعلن فيه بابتهاج انه «أنشأ الدولة اليهودية» واختار لها فلسطين بدلا من اوغندا او الارجنتين كما كان مقترحا، وذلك اعتمادا على شعور الارتباط «بصهيون» وهو أحد التلال التى تقوم عليها القدس الشريفة حين أقام سليمان هيكله.

وسارت أحلام الصهيونية التوسعية مع الزمن على اختلاف ظروفهم وتباين معايشتهم وكلما رأوا فرصة سانحة أمامهم توسعوا فى معناها، حتى أصبحت اليوم تشمل أعراضا ثلاثة: «الإيمان بالعنصرية، والعمل على تحقيق دولة اسرائيل الكبرى، والهيمنة على رأس المال فى العالم.

وقد سلكت الصهيونية في سبيل تحقيق أهدافها كل الوسائل غير الشرعية كالرشوة والدهاء والخديعة والخيانة والاعتداء على ما لايُعتدى عليه. وهذا هو الفرق بينها وبين اليهودية كدين سماوى أنزل على موسى عليه السلام يدعو الى توحيد الله واقامة العدل واقرار الحق وتوجيه البشرية الى الخير والمحبة والسلام، فالصهيونية تقوم على أطماع سياسية، وتدعو الى العنصرية والتفرقة والأنانية، والفوضى والاستئثار بكل الخيرات والثروات التي أودعها الله فى الأرض والوصول بأى شكل الى ارساء حكم عالمى يسود فيه شعب الله المختار. وهو مازينه لهم أحبارهم وحكماؤهم ماشاؤا فى كتاب أسموه «التلمود». وقد كشف القرآن هذه الافتراءات وأثبت الحقيقة))انتهى

ولسنا فى مجال اثبات اسم ونوع المؤمنين الذين عناهم الله تعالى ووصفهم بعباده والمهم ان حزب الحق قد انتصر وجعل الله على يديه طرد اليهود من القدس..

ويمضى الزمن سريعا ليبدأ اليهود بالسعى لجمع كلمتهم واخراجهم من الوضع المزرى الذى هم فيه من التفرقة والمهانة والذلة، فيستخدمون المال سلاحا للضغط على الأمم القائمة. وكل أساليب الإغراء والإفساد. وذلك فى أول القرن العشرين .... فقد اجتمع حزب منهم وفكروا فى إقامة دولة له ليجتمعوا فيها. فوافق اجتماعهم على ان يسعوا لإقامة دولة لهم فى (الارجنتين) او فى (فلسطين) وأقروا جميعا ان سلاحهم فى ذلك كل الوسائل التى توصل الى الغاية فمن كانت تجدى فيه الصداقة صادقوه، ومن كانت تنفع فيه المغريات أغروه بالمال او النساء، وانتدبوا أثرياءهم لشراء أملاك فى الارجنتين وفلسطين وبدأت فترة النمو عندهم، حتى ظفروا من (بريطانيا) بوعد بلفور المشئوم باقامة دولة لهم فى (فلسطين) عندما تنسحب بريطانيا وبدؤاهم وبريطانيا يعملون لهذا الهدف والمسلمون لايدرون بما يراد لهم حتى كانت حرب فلسطين عام ١٩٤٨م وكل من عاش فى القرن العشرين يعرف كيف مهد لها وكيف هىء كل شىء لغلبة اليهود فقد

سلمتهم بريطانيا مقاليد الأمور ثم انسحبت وكانوا مستعدين وكان المسلمون آمنين غير معدين العدة لما يحدث وشتان، بين من يأتي الأمر يعرفه وقد أعد العدة له وبين من يأتيه بغتة وغرة وهكذا قامت الدولة اليهودية بهذه الكيفية وعلى تفصيل مذكور فى كثير من الكتب وموجود فى مخيلة كل من كان فى الثلثين الأخيرين من القرن العشرين ..

قامت وصاحب قيامها تفرق من المسلمين أعد أعداؤهم له .. واستخدمت امريكا لنصر هذه الدولة الجديدة بسبب الضغوط المالية من اليهود الامريكان .. فكان لليهود دولة وكانت لهم جولة وهى التى ذكرها الله تعالى بقوله: **«ثم رددنالكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفرا، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أساتم فلها»** .

وهذا واقع فعلا فقد رد الله الكرة لليهود بحبل منه وحبل من بريطانيا وامريكا فانتصروا وكونوا دولة اعترف بها أكثر العالم واجتمعوا فى هذا المكان من فلسطين من كل الارض وكان لهم

استقرار وأولاد ومال. وكان لهم نفير كثير فقد هاجر يهود العالم كله اليهم وتجمعوا فى هذه الرقعة الصغيرة فى قلب العالم الاسلامى وقد صدق وعد الله فانهم نفروا نفيرا من كل البلدان الى «فلسطين» حتى يهود روسيا التى وافقت على ان يهاجروا الى (فلسطين) ولو كانت الأمور على ظواهرها وعلى ماعليه عرف العالم اليوم لما وافقت روسيا على هجرة واحد منهم. لان من يعرف عداءها لامريكا وللعالم المتحالف فى اوروبا وخصامهم المستمر يؤكد أنه لن يمكن ان يوجد روسى واحد فى اسرائيل. ولكن كل ذلك لتحقيق وعد الله تعالى فقد أرسلت روسيا بالعلماء والعاملين والتجار وكانت تعطيهم أموالا وتعويضات وتبعث لهم المساعدات اما امريكا فلا شك انها جرت جرا وارغمت ارغاما ولم تستطع التخلص من كيد اليهود .. وربما نالها ضرر كبير فى مستقبل حياتها بسبب اليهود والله أعلم بما سيكون فى الغد وفى المستقبل. والخلق مهما كان لديهم من مظاهر القوة فانهم ضعفاء أمام ربهم..!

الجولة الثانية:ـــ

الجولة الثانية للمؤمنين مع اليهود تأتى فى قمة رفعة اليهود وكثرتهم وعزهم وتجمعهم فى مكان واحد .. وقد ذكرها الله تعالى بانها من عباد الله المؤمنين الصادقين مثل الذين كانت على يدهم الجولة الأولى فهم سيقاتلون اليهود بعون من الله تعالى وسيغلبون اليهود و ينتصرون عليهم و يصيبون اليهود بما يسؤوهم و يبرزهم للعالم على حقيقتهم و يعيدونهم شذاذا فقراء و يدخلون المسجد الاقصى فاتحين مقيمين للعدل مصلحين للارض كما كانوا فى المرة الأولى وكل الاوضاع الحاضرة تدل على قرب هذه الجولة لان اليهود تجمعوا فى فلسطين لحكمة يعلمها الله تعالى وإلا فليس من المعقول ان يتركوا كل بلادهم التى توالدوا فيها ويجتمعوا فى هذا المكان الضيق وهم أعداء غير متعارفين ولامتجانسين وماذلك الا ليقع وعد الله ولتحصل الجولة على يد عباد الله.

فهذه الجولة الثانية ستكون على يد المسلمين

قريبا ان شاء الله لاشك ولاريب في ذلك. وقد ايد هذا ماورد في صحيح مسلم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتقوم الساعة حتى يتقاتل المسلمون واليهود فيقتل المسلمون اليهود حتى لايبقى يهودى حتى ان الحجر والشجر ينادى يامسلم ان ورائى يهوديا فتعال فاقتله الا الغرقد فانه من شجر جهنم ..)

وقد علمنا ان شجرة الغرقد تنبت وتزرع الآن فى الجزء الذى احتلهُ اليهود من فلسطين .. والغرقدبعرف فى بلادنا باسم (العوشز) و يتعارف الناس عندنا على أن شجر العوشز شجر كريهٌ مخيف توجد فيه الجن ــ وذلك أن الحيوانات لاتألف هذا الشجر وتجفل منه .. ونحن هنا نثبت رأياً في هاتين الجولتين ولسنا ندعو الى ترك العمل والاتكال على الوعد وحده لانه لايدرى احد متى سيكون والاسلام يدعو الى العمل وطلب العون من الله وحده فى كل وقت وقد دعونا فيما مضى من القول العمل الجاد السريع...

(فاذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ماعلوا تتبيرا ....)

ولعل من يتابع الأحداث فى عصرنا هذا يلاحظ محاولة اليهود التمسك باحتلال (القدس والمسجد الاقصى) وذلك يدل على أن المسجد سيبقى فى يدهم حتى يقضى عليهم و يدخله عباد الله المسلمون كما دخلوه أول مرة. ولينتقموا من اليهود المفسدين المعتدين الذين قتلوا الأطفال والشيوخ. وللتأكد من بقاء هاتين الجولتين غير معنيتين فى تاريخ الأمة الاسلامية وتفاسير العلماء للقرآن يمكن الرجوع الى عدد من التفاسير ليرى المفكر كيف لم تستقر آراء العلماء فى هاتين المرتين من مفاسد اليهود. فمنهم من يقول إن واحدة مضت، ومنهم من يقول إن المرتين مضتا معا عندما رأوا اليهود تقلصوا وانتهوا تقريبا من الأرض..ومنهم من يقول ان واحدة هى التى مرت والثانية قادمة..وقد أكد بقاءها وأنها لم تحدث ما حصل فى العقود الثلاثة الحالية والماضية من تجمع اليهود فى فلسطين وحول القدس .. والله هو العليم الخبير ..

المدافعة العامة والدفاع عن المؤمنين :

[إنَّ الله يدافع عن الذين آمنوا إنَّ الله لايحب كل خوّان كفور (٣٨) أُذِنَ للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أنْ يقولوا ربنا الله ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهُمْ ببعض لهُدِّمتْ صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يذكرُ فيها اسمُ الله كثيراً ولينَصُرَنّ اللهُ من ينصره إنّ الله لقوى عزيز (٤٠) الذين إن مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور(٤١)].

[والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسناً وإنّ الله هو خير الرازقين (٥٨) ليدخلنّهم مُدخلاً يرضونه وإنّ الله لعليم حليم (٥٩) ذلك ومن عاقب بمثل ماعُوقب به ثم بُغِيَ عليه لينصرنّه الله إنّ الله لعفو غفور(٦٠)] سورة الحج.

موضوع الدفاع والمدافعة أثبته الله وبينه وهو واضح منطبق في كل حين والمسلمون بحاجة اليه

لكن ينقصهم دائما التطبيق، و يبعدون أحيانا عن صراط الله المستقيم بعدا فى النهج أو فى المكان عن قصد أو عن غير قصد. والمتمعن فى القرآن الكريم يجد هذه الآيات تفيض دلالة وتنطق تعبيرا بما يحتاجه المسلمون وما عليه العالم اليوم و يرى الطريق مناراً للسالكين .. ولكن أين المفكرون.؟ واذا وجد المفكرون فأين المبلغون وأين المستفيدون، وليس أنكى ولا أعظم أثرا من أمة لديها كل المقومات فى سلمها وأمنها وفى حربها ومقاومتها وفى عسرها و يسرها ومع ذلك لا تستفيد من هذه المقومات بل قد تسيء الى نفسها من حيث لا تدرى .. وسنذكر هنا بعض هذه المعالم للاستنارة بها لمن أراد.

١ ــ دفاع الله عن المؤمنين: هذا وعد من الله تعالى تكرر فى القرآن الكريم بعبارة التولى والدلالة والمعية، والمدافعة وهو حق لامرية فيه. ولكن متى وكيف ولمن وعلى من تكون هذه المدافعة والحماية..؟! تكون للمؤمنين ومن هم المؤمنون.؟! انهم الذين آمنوا بالله وأقاموا

الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .. وجاهدوا في الله حق جهاده. فاذا انطبقت هذه الصفات على أحد من الناس فالله يدافع عنه و ينصره ويجعل الغلبة له واذا تخلفت او تخلف منها شيء فذلك اليه تعالى ان شاء نصر وان شاء تخلى عنهم وهو الذى يعلم السر وأخفى؟ وعلى من تكون المدافعة والنصر؟! لابد ان تكون على الخائنين الكافرين الذين لم يؤمنوا بالله وخانوا العهد الذى أخذه عليهم فلم يطيعوه ولم يؤمنوا بما أنزل على رسله في كتبه ولم يعملوا بها..

فهذان شيئان متلازمان . صلاح المؤمنين وفساد الكافرين اذا حصلا تنزل النصر واذا لم يحصلا اختل جانب مهم من قواعد النصر...

وهنا أمر مهم يجب التنبه له عند بحث انتصار المسلمين وعدمه. وهو أن الله تعالى لم يذكر المسلمين بهذا الوصف فقط بل يذكرهم دائما بالعاملين بما أنزل عليهم و بالمتبعين لرسوله

صلى الله عليه وسلم وبالمتواصين بالحق والمتواصين بالصبر. وبقية الصفات اللازمة لانطباق الايمان...

وهذا سر عظيم يجيب عن تساؤلات كثيرة فى النفوس عن سبب تخلف النصر عن المؤمنين وهو جواب قاطع لاجدال فيه وعلى المسلمين أن يفتشوا عن صفاتهم ويحكموا على ضوئها..؟!

«إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا إنّ الله لايحب كل خوان كفور»

(الذين إنْ مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمر بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور).

٢ ـ قتال مأذون ونصر محتوم: أذن الله تعالى بالقتال لمن ظلم وأخرج من دياره ظلما وعدوانا ولاينقم منه عدوه الا انه مؤمن يقول ربى الله وانه يصلح فى الارض ويكره الفساد ويجاهد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا. فظلمه اعداء الله واخرجوه من دياره وأهله

وماله وهاجر في سبيل الله ولنصرة دين الله ورسول الله..يبتغي داراً آمنة وأرضاً صالحة لنشر دين الله وإصلاح النفوس فهؤلاء يرضى الله فعلهم و يبارك جهادهم و يتولاهم بنصره فان قتلوا وهم فى هدفهم هذا وماتوا فان الله عز وجل سيكتبهم شهداء وسيرحمهم و يفضلهم على غيرهم و يدخلهم جنته..وحتى لو أن هذا النوع من الجهاد وتلكم الفئة من المؤمنين بغى عليهم بعد هدنة أو بعد معاهدة أو بعد دفاع بالمثل فان الله سينصرهم على أعدائهم ولو كانوا أكثر منهم عدداً وعدة..وهذه حال أو حالات وقعت فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وتقع فى كل زمان ومكان. ولكن من المستفيد منها؟ الله أعلم بذلك..!

وقد كان جهاد الصحابة رضوان الله عليهم مطابقا لما أنزل على نبيهم ولما يأمرهم به رسول الله فقد كان يوصي من يعقد له الإمارة على سرية أو جيش بأن يسعى على اسم الله جهاداً فى سبيل الله وأن لايقتلوا امرأة

ولاشيخاً ولا وليداً. والايغدروا بعهد أو ذمة والا يمنعوا أحداً من عبادة الله، والا يقتلوا من يذكر الله ولو كان مبازرا لهم.

فكانت حروبهم جهاداً نصروا فيها وأحق الله بهم الحق وأزهق الباطل وهدى الله بهم قلوبا غلفا وفتح بهم أعينا عميا وآذاناً صما.. ولا تزال آثارهم باقية إلى عصرنا اليوم (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) (والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ـ ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم. ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور)

٣ ـ المدافعة العامة:ـ كل الخلق فى كل الأمكنة ومختلف الأزمنة تحت رعاية الله وتصريفه يدبرهم بحكمته وعلمه..ومن حكمته تعالى أن يجعل الناس يتدافعون أمماً أمماً أو جيشاً جيشاً أو أفراداً أفراداً.. وهم يظنون أن ذلك لمصلحتهم وهو لمصلحة أمم أخرى. ولذلك

شواهد كثيرة منها ماجاء في القرآن الكريم في أول سورة «الروم» (الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) وقد فرح بعض الصحابة فى ذلك، وحصل له أثر بينهم وهو بين دولتين معاديتين للمسلمين ولايفرح المؤمنون بنصرهما لكن نصر الروم على الفرس أهون وأكثر رجاء للمسلمين من انتصار الفرس..

وغير ذلك فى التاريخ الإسلامى كثير..واليوم وفى نهاية القرن الرابع عشر الهجرى العشرين الميلادى يكون التدافع بين دولتين شهيرتين هما (امريكا وروسيا) تخشى إحداهما الأخرى وتعمل لها حسابها، وتعنى بما تقول وبما تفعل. وتقف دائماً إحداهما ضد الأخرى وتعارضها فى رأيها..ويتظاهران ويتطاولان..ويتسابقان على التسلح ويتباريان فى زعم غزو الفضاء..وكل ذلك لاثبات زعامتها ورئاستها على العالم فى

اعتقادهما. أما الحكمة البعيدة والأثر العام فهو حكمة الله تعالى لانه لو ترك الأمر لامريكا وحدها أو روسيا وحدها لغزت العالم وأخضعته لها ولأهدافها طوعا أو كرها. ولتغير مجرى التاريخ وحرمت أمم من حرياتها، وممارستها لأديانها.. ولهدمت الكنائس والبيع والمساجد ومنع عباد الله من إظهار دينهم والتمتع بفضل الله تعالى ونعمه.. وكذلك الحال فى (الصين) فان اتفاق (امريكا وروسيا) وهما دولتان متضادتان ــ على الوقوف ضدها أمر يدعو للعجب والتفكير. و يزول كل ذلك إذا علمت حكمة الله تعالى..

ومن يدرى ماذا سيكون فى المستقبل لايدرى سوى الله تعالى وهو المصرف للأمور ومقاليدها بيده (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير)

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله

كثيراً ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز..)

وهنا حكمة عظيمة وسر كبير ذلكم أن من لايؤمن بالقرآن ولايدرك هذه المدافعة من مفكرى غير المسلمين يقف حائراً أمام وضع العالم اليوم ومايجرى فيه من العجائب وخلاف مايتوقع المفكرون السياسيون. ولكن إذا عرفت هذه الحكمة بطل العجب وانتهى الأمر إلى خالق الكون ومافيه ومن فيه..! فلا يملك العاقل سوى التسليم لفاطر السموات والأرض....وبطلان كل قوة صنعها الخلق وهيئوا لها.. **(سبحان من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولايجار عليه..)**

منزلة المؤمنين :

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ٥٥) سورة النور.

منـزلـة المـؤمـنين فـى الـدنـيـا الصدارة والقيادة. صدارة الأمـم وقيادتهم وذلك وعد من الله تعالى لن يـتـخـلـف أبـداً ولـكـن لـيس هذا الوعد محصوراً فى جـنـس معين أو تاريخ محدود أو أرض خاصة بل هو لـعـباد الله المؤمنين الذين يعملون الصالحات لأنفسهم ولأهـليهـم وأمتهـم بـأنهـم سـيـكـونـون خلفاء فى هذه الأرض لـعـمـارتهـا وإصـلاحـهـا وإصـلاح مـن فيهـا مـقـيمين لشعائر الله منفذين لتعاليمه مطبقين المبادىء الـتـى ارتـضـاهـا لهم فإذا توفرت فيهم هذه الصفات فـهـم المـؤمـنون الذين يكونون فى الصدارة وفى حياة مـسـتـقـرة آمـنة متفرغين لعبادة الله ولهداية البشر إلى مافيه خيرهم جميعا.

ولـعـل أحـداً يـقول إن هذه دعوى أو محاباة لهذه الـفـئـة مـن الناس ونقول إن هذه الصفة لم تعط لهم صـفـة خـلـقـية أو دمو ية أو عصبية أو أرضية ولكنها أعـطيت لهم لهذه الصفات التى يرضاها الله وتصلح للقيادة..

وقـد شـاهـدنـا هـذا فـى حال البشر اليوم فحينما

تخلف المسلمون عن قيادة العالم وعن مضارب المثل وعن القدوة أرتبك العالم فى حياته وقلق في نفسه وتشابك ولم يجد من يخلصه رغم ماهو عليه من تقدم مادى واختراع غريب فهو كثير فى العدد وقليل فى القيمة والتأثير وهو قوى فى الكلام وصنع السلاح وضعيف فى الخلق والدين والسلوك.

وقد خلا فكرهُ من كل مقومات الحياة وشعر بفراغ هائل لايملؤه سوى الإسلام الذى هو دين الله الذى ارتضاه وحده لعباده..والمؤمنون هم الذين استجابوا لله فكانوا أهلا للقيادة والارشاد ونكرر مرات باننا نثبت أوصاف المؤمنين ولا نربطهم بعرق ولادم ولا بلد فمن انطبقت عليه هذه الصفات فهو المؤمن..ومن عمل بها ثم تركها فقد ضل الطريق واستحق الغضب من الله والبعد عن التوفيق فى كل حياته..

وعند مراجعة وضع المؤمنين وموقفهم من العالم اليوم نشاهد أنهم تركوا مكانهم بسبب عدم اتصافهم بصفات الكمال التى تؤهلهم لذلك فتسلم القيادة

غيرهم. وقد ابتلوا جميعا بهذه الصفة المتخلفة حتى أنهم احتقروا أنفسهم وصاروا ينضوون تحت تأثير المجتمعات الأخرى و يتشكلون بأشكالهم و يعملون بأعمالهم و يستعدون للتزي بزيهم قبل الوصول إليهم لملء أفكارهم بالأمور التى تجعلهم يهملون صفاتهم و يقبلون صفات غيرهم وهذا مرض وبيل يتصف به كثير من المسلمين فى كل الأرض ولذلك تخلفوا عن مكانهم فتخلف وعد الله عنهم ــ وماداموا تخلفوا عن صفاتهم المؤهلة لهم فان نتائج ذلك متخلفة عنهم لا محالة وهى النصر الذى نحن بصدد البحث عنه الآن...

فهل يراجع المسلمون أنفسهم؟ و يفتشواعن مكانهم فى العالم؟ و يبحثوا عن سر تخلفهم إنهم إن فعلوا ذلك خطوا الخطوة الأولى فى طريق النصر. والله تعالى لايخلف الميعاد.

النصر للطالب بحقه المغتصب :

(فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ٣٦ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ٣٧ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ٣٨ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ٣٩ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إن الله لا يحب الظالمين ٤٠ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ٤١ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ٤٢ ولمن صبر وغفر إنّ ذلك لمن عزم الأمور ٤٣) سورة الشورى.

يحسب بعض المسلمين أن الحرب فئتان متقابلتان يغلب إحداهما الأخرى بسبب قوته أو كثرة عدده ولذلك يعنون بهذا الجانب وحده و يغفلون الجوانب الأخرى. ولو فكروا لعلموا أن المسلمين هدوا إلى كيفية الجهاد واعلموا من ربهم بالأسباب

التى توجب النصر لهم على عدوهم وهى صفات لم تغفل الاستعداد المادى بالقوة والسلاح والتدريب لكنها جعلت معانى أخرى لازمة لحصول النصر وهى صفات أكثرها تعود إلى حال المجاهدين.

وهنا يذكر الله تعالى أكثر هذه الصفات ومنها:ـ

١ ـ إذا كانت الحرب التى قام بها المسلمون انتصاراً للحق وعلى الباغى المعتدى فان النصر حاصل للمسلمين لامحالة فى هذه الحالة.
٢ ـ إذا حاربوا لم يعتدوا ولم يمثلوا ولم يقتلوا وليدا ولاشيخا ولا امرأة غير محاربة وعاملوا عدوهم بمثل ماعاملهم فالنصر لهم.
٣ ـ لقد ارتقى الله بالمؤمنين إلى أعلى درجات السمو والفضل فرغبهم بالعفو والاصلاح إذا قدروا وسوف يتولى الله جزاءهم. وهذا مافعله المسلمون المحاربون الأوائل فانهم يدخلون البلاد التى اعتدى عليهم أهلها أو ظلموا عباد الله ومنعوهم من عبادته كما أراد. فيحسنون إليهم

ويشملونهم بعطفهم ويقومون بشؤنهم ويتركونهم على حرياتهم وأعمالهم ومتاجرهم. ويعلمون أن نفراً منهم باسمائهم ظلموا المسلمين ولكنهم لايعاقبونهم.

ومن هنا أحبهم الناس وفضلوا حكمهم على حكم قومهم واعتنقوا دينهم عن رغبة وطواعية وصار بعضهم من قادة المسلمين وعلمائهم.

٤ ـ إذا وقع الظلم على المسلمين فانتصروا وقتلوا عدداً من أعدائهم وظهر انتصارهم للعيان فليس عليهم إثم ولاحرج لانهم ظلموا أولا وطالبوا بحقهم فنصرهم الله.

٥ ـ أمور مهمة وهى صفات هؤلاء المؤمنين الذين لهم النصر هذه الصفات هى الإيمان بالله وحده ايمانا حقيقياً. والتوكل عليه وحده فى كل أمورهم. وأداء حقوقه. والمحافظة على الصلاة والزكاة وبقية شعائر الدين. والتطهر والبعد عن الفواحش والمعاصى فى حال السلم والحرب. والتواضع وعدم التفريق بين المسلمين

وانفاذ أمر الشورى فى شئونهم العامة فلا يقطعون أمراً دون الاستشارة.

والحلم والأناة فلا يخرجهم الغضب على عدوهم ولا يدفعهم على الاعتداء بغير حق. والانفاق من أموالهم والبعد عن البخل وتفضيل الآخرة على الدنيا.

فاذا أصابهم البغى وهم على هذه الصفات كتب الله لهم النصر.. وهى صفات فاصلة تتطلب الإيمان والصبر ولا يتصف بها إلا من يستحق النصر وفى هذه الصفات والمعانى السامية العظيمة يلاحظ أن الله سبحانهُ وتعالى لم يعد المؤمنين النصر دون ذكر صفاتهم والحض على المحافظة عليها.

وعندما ذكر الظلم لم يذكر (المؤمنين) بل ذكر (الناس) وهذا يعنى أن الظالم سيؤخذ بظلمه إن عاجلاً أو آجلاً ولو كان المظلومون غير مؤمنين لان الله سبحانه وتعالى هو رب كل العالمين وقد حرم الظلم على نفسه وجعله محرما بين عباده.. فلا

يرضاه من أحد على أحد وسينصف المظلوم من الظالم...

ولو أن المسلمين انتبهوا لهذا المعنى العظيم لم يهابوا قوة ولم يرهبوا جانب الدول الكبيرة فى ادعائها وفى عرف العالم الحاضر. ولكن هذا يحتاج لمقياس ايمانى لايعمل به فى عصرنا و يوم يعمل به المسلمون سيكون تقييمهم للعالم مطابقا للواقع ومحققاً للنتائج المطلوبة فتى يكون..؟!

وسيتبين هناك مكان المسلمين وقيمتهم المعنوية التى تفوق الظاهرة الحسية التى يقيم بها العالم اليوم بعضهم...

وعندما تختلف المقاييس تتخلف النتائج..وتقييم الخلق يتغير من إنسان لآخر ـــ لكن تقييم خالق الخلق لا يتغير ولايختلف. وهو فى يد المسلمين ..! لكن هل يستفيدون منه..؟! هذا هو السؤال الذى يحتاج لجواب عملى لاقولى...وصامت لاناطق وصادق لا متظاهر. فتى يكون..؟

المسلمون أشداء في الحرب :

(فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منّاً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم ٤ سيهديهم ويصلح بالهم ٥ ويدخلهم الجنة عرّفها لهم ٦ ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ٧ والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم ٨ ذلك بأنهم كرهوا ماأنزل الله فأحبط أعمالهم٩) سورة محمد.

من صفات المؤمنين الثابتة أنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، وأنهم أسود بالنهار عباد أرقاء في الليل، ولم يهمل هذا الجانب في السلم والحرب بل جاءت التعاليم الإلهية منظمة لذلك ومحافظة عليه ومبيِّنة لحال الفريقين المتحاربين في الدنيا والآخرة.. وسنستوحي من هذه الايات بعض هذه التعاليم والحكم الثابتة النافعة:

١ ـ متى تضرب الرقاب:

اذا التحمت الصفوف والتقى الجيشان المتحاربان بسلاحهما فقد انتهى دور اللين والسلم وبدأ دور الجد والقوة، والمسلمون فى هذه الحال عليهم أن يكونوا أشداء أقوياء يأخذوا عدوهم بالقوة الصارمة يضربون رقابهم ويقتلونهم تقتيلا يرهب من وراءهم، ويثخنهم حتى يسلموا للمسلمين وينزلوا تحت حكمهم، ومن سلم منهم ونزع سلاحه شد وثاقه وربط خشية الغدر أو الاعتداء على المسلمين أو التجسس عليهم حتى تنتهى الحرب ويرى المسلمون أيها أفضل العفو أم طلب الفداء من الأسرى .. وهذا واجب أصلا على المسلمين المحاربين ولذلك عد الفرار من الزحف أو التولى عن صفوف المحاربين من الذنوب الموبقات التى لايغفرها الله وهنا يدرك المسلمون كيف نظم الله حياتهم فى السلم والحرب ورتب جهادهم ابتداء من النية والسير والعمل فى الطريق وفى الثغور الاسلامية

وأمام العدو وحين التحام الصفوف وعند مفارقة الدنيا وبعد الحرب وحتى قسمة الغنيمة وكل ذلك واضح بين عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعون لهم باحسان ــ ولو قارنا بين حروب المسلمين الأولين و بين حروب المتأخرين لوجدنا لونا شاسعا فى كل الأحوال وكان ماكان لأسلافنا يخصهم وحدهم وليس لنا، فما كنا نسمع أو نرى تنظيما حربيا وترتيبا إسلاميا يعيه كل جندى و يدرك موقفه أمام ربه وأمام رؤسائه وأخوانه المحاربين بل هو ان حارب فانما يحارب عنادا أو عصبية أو سلبية مطلقة لايدرى الى ان يساق وماذا يفعل والى ماينتهى .. ولذلك لم تكن النتائج التى يحصل عليها المتأخرون مثلها لدى المتقدمين..

والأمر يسير بين لمن أراد سلوك النهج القويم صراط الذين انعم عليهم من النبيين والمؤمنين وهو خير فى الدنيا وأبقى فى الآخرة ..(فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا

اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإماماً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزاها).

٢ ــ الحرب ابتلاء وامتحان:

يجمع كل المخلوقين ــ وخاصة عند الشدة ــ على ان الله وحده هو القادر وهو المتصرف وانه بيده الأمور. وهنا يطمئن الله عباده المؤمنين و يدخل على قلوبهم الايمان والثبات و يعلمهم بحقيقة الحرب وانه تعالى يستطيع بكلمة (كن) ان ينصر المؤمنين على الكافرين ولكنه يجعل الشدائد بلوى وامتحانا يتبين بها المؤمن من الكافر والمطيع من العاصى والصابر من الخائف الهارب وقد تكون هذه البلوى للمؤمنين وحدهم لتتبين منازلهم ومقدار جزائهم، وقد تكون بين المؤمنين والمنافقين ليتبين المنافق الذى كان يتكلم بلسانه و يبطن بقلبه خلاف مايظهر. فحين تجيء الحرب يكنس ويخنس ويجبن وترتعد فرائصه و يتغير لونه وقد تكون بين الكافرين أنفسهم لحكمة يعلمها الله تعالى ولانعلمها منها مايتعلق

بأنفسهم ومنها ماتتصل نتائجه بأحوال المسلمين ومستقبلهم، يدرك هذه الحكم بعض المسلمين وكثير منهم لايدركها ولايظن انها تتصل بالمسلمين من قرب أو بعد.

وشواهد ذلك فى زمننا كثيرة حينما التحم العالم وأصبح سكان الأرض كبلد واحدة بالنسبة لسرعة اتصالهم وتقارب بلادهم وأحوالهم ومعرفة أخبارهم بلحظات محدودة فصار مايحدث فى أقصى الغرب يؤثر أحيانا على من فى أقصى الشرق ومايحدث فى الشمال يؤثر على من فى الجنوب ... وأصبح الأنعزال عن العالم مستحيلا فلا بد أن يتأثر بعضهم من بعض ومن هنا كان دور المسلمين فى هذا الزمن دورا عمليا وذا حدين فان صلحوا بأنفسهم أثروا على العالم بالهدى والصلاح وان ضعفوا فتركوا التأثير للعالم عليهم فسدوا وفسد الناس ولله فى خلقه شئون وهو العالم بما كان وبما يكون.

(ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض).

٣ ـ المحاربون في سبيل الله:ـ

سبيل الله هو صراطه المستقيم، وهو الحق والعدل، ورفع الظلم وكل عمل الدافع له وسببه طاعة الله ومحبته ورضاه .. وهو غير محدود وجانبه الدفاعى الذى فيه القتال والحرب هو الجهاد فى سبيله، والمجاهدون هم الذين يقاتلون لتكون كلمة الله هى العليا ليس لهدف سوى ذلك فانه مجاهد فان انتصر فله أجر عظيم فى الدنيا يحفظه الله تعالى له فى الدنيا ولن يضيع عملهم بدون فائدة فسيصلح الله أعمالهم كلها و يوفيهم أجورهم و يقوى أبدانهم و يصلح نفوسهم ومجتمعهم .. وان قتلوا فى سبيل الله فهم شهداء مكرمون عند ربهم لهم الجنة ولهم السعادة الأبدية ولهم منازل خاصة بهم فى الدار الآخرة يعرفها كل من فى الجنة لفضلهم على غيرهم فى الجهاد .. ولعل ماذكر الله تعالى من جزاء المجاهدين فى سبيله

بعد ماذكر من ان الحرب ابتلاء واختبار لدفع المسلمين الى الجهاد فى سبيل الله وترغيبهم فيه، ورفع الخوف والخور من نفوسهم فهم ليسوا كغيرهم فلهم إحدى الحسنيين اما النصر واما الشهادة. ومن يرجو إحدى الحسنيين سوف يقبل على الحرب بنفس راضية مطمئنة ورغبة أكيدة وإقدام متناهى لايعادله شيء فى الدنيا، ولن يصل الى معنويتهم أو شعورهم النفسي أي جندى آخر مهما كانت الدوافع ومهما بذل له من الاغراآت .. وهذه ميزة للمسلمين دون غيرهم. فهل ياترى يأخذونها أم يتركونها..؟ **(والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم، سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم).**

٤ ــ متى ينتصر المسلمون:

(ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) كلام واضح وجواب مرتب على الشرط لازم ان حصل المشروط .. فليس وصف المؤمنين وحده كفيلا بالانتصار ولكن

لابد ان ينضم الى الايمان العمل الصالح والجهاد فى سبيله. فهنا وعد بالنصر والثبات لمن كان يحارب لنصر دين الله ومايرضى الله من إحقاق الحق وقمع الباطل ونصر المظلوم وحماية الدين والعرض والمال والوطن ان تستباح أو تغضب .. والله تعالى غني عن عباده لكن ليبتليهم وليعلم نياتهم وأهدافهم علنا وإلا فهو العالم بالسرائر وليصلح بهم الأرض والناس.

وبهذا يعلم المسلمون لماذا لاينصرون؟ و يعلمون متى ينصرون؟ ويجيبون من يتساءل لماذا لاينتصر المسلمون وعددهم كثير وبيدهم المال وقد وعدهم الله النصر ..؟ فبقراءة هذه الآية يزول كل إشكال ويحل كل غامض فانها بينة يفهمها من له أدنى علم بالعربية .. فمن ينصر الله ينصره! ومن لاينصر الله يخذله !! وأى قوة فى الدنيا قديمة أو حديثة ولو كانت الذرة الهدروجينية لن تكون غالبة لله لان قدرة الله وعلمه تغلبها وتقضى عليها قبل أدائها لما صنعت له. ولان قدرة الله تمنع المدبر للقنبلة

ان يفجرها فى وقتها.! وتتيح للفريق الآخر أن ينتصر بأى وسيلة من وسائل النصر ... فهل يفهم المسلمون؟ واذا فهموا هل يعملون؟ ان أبسط المفكرين وأقلهم عمقا فى التفكير يعلم هذه الحقائق، و يعتقد انه لو اجتمع المسلمون اليوم لم يقف فى وجههم أى قوة فى الدنيا و يعلم أنهم قوة معنوية وحسية لكن الله سلطهم على أنفسهم فتفرقوا شيعا وأحزاباً فذهبت ريحهم وضعفت معنويتهم وسقطت قيمتهم من أعين أعدائهم و يئس بعضهم من حصول النصر مع ان وجود اليأس وحده معصية لايرضاها الله لعباده المؤمنين.

وان من أعظم عجائب الدنيا ان ينقص القادر على التمام، ويخضع القادر على الارتفاع ويهين القوى، و يغلب الضعيف، ولكن كثيرا من المسلمين بدؤا لايتألمون ولايحسون بمواقع أقدامهم من العالم. وانها لمعصية كبرى وفادحة جليلة ومعضلة متمكنة ان يحصل هذا فى المسلمين ثم لايثوبون الى رشدهم و يتوبون الى

الله و يعملون بما أعطاهم من الخير العميم و يسلكون الصراط المستقيم..!!

اننا فى كل مواقف التذكير والموعظة لانريد البكاء والندم فقط ولكننا ندعو الى العمل والعمل وحده على النهج القويم حتى نبلغ الهدف الأسمى الذى وعدنا الله. وماذلك على الله بعزيز..

٥ ـ متى ينهزم غير المسلمين:

ينهزمون إذا كانوا على عكس المؤمنين. وكان المؤمنون على الصفات التى أرادها الله للمؤمنين. فغير المؤمنين لايؤمنون بالله وان آمنوا بجزء من الايمان كذبوا الأجزاء الأخرى وغير المؤمنين لايؤمنون بما أنزل الله من الهدى والنور ولايحبونه،بل يكرهونه ولايأخذون بمايرضى الله ولذلك أضلهم الله وأعمى أبصارهم وأحبط أعمالهم، وذهب ببركة اختراعهم وأحبط تنظيماتهم .. فهذه الصفات تجعلهم غير جديرين بالنصر وغير مستحقين لعون الله لهم فليس ذلك لسبب فى خلقتهم فكلهم خلقهم

الله تعالى وكلهم عباده لو اطاعوا...

وهذه مقارنة عظيمة بين المؤمنين بالله والكافرين به، والمطيعين له والعاصين والمتقبلين لتوجيهه والمفارقين .. وهى موازنة مستمرة فمن كان مع الله كان الله معه، ومن بعد عن الله وأعرض عن دينه تخلى الله عنه، وتولته الشياطين. ومعنى ذلك ان المؤمنين فى زمن ما وفى مكان ما المنصورين بعون الله تعالى وإرادته لو تخلوا عن دينهم تخلف عون الله لهم ولم ينتصروا ... ولو ان المارقين المكذبين لله المهزومين المغلوبين آمنوا وصدقوا بما أنزل كان الله معهم ونصرهم كما نصر غيرهم من المؤمنين .. ولايعلم الغيب الا الله فقد تكون أمة كافرة اليوم مسلمة بعد عقد من الزمن وقد تكون أمة مسلمة اليوم كافرة بعد عقدين من الزمن .. ولاإشكال فى ذلك فالمقدمات معروفة ثابتة والنتائج مترتبة عليها و ليأخذ كل انسان لنفسه ماشاء من الأمرين وليسلك ما يحلو له من الطريقين .. ولينتظر كل نتيجة عمله ..

(والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم، ذلك بأنهم كرهوا ماأنزل الله فأحبط أعمالهم)

ومن يعرف قواعد اللغة العربية وبلاغتها يعلم ان الذين اسم موصول وهو من صيغ العموم يتم معناه مع صلته والصلة هنا صفات توضح الاسم الموصول .. وتصفه بعمله الرفضى المانع للاستجابة، وقد رتبت نتائجه عليه فى خبر له حيث كان مبتدأ وخبره جملة فتعسا لهم وأضل أعمالهم، ثم بعد ذلك يأتى التعليل الذى سبب لهم تلكم النتيجة السيئة وهو كرههم لما أنزل الله .. وقد ترتبت نتيجة وحكم ثالث عليهم وهى إحباط أعمالهم .. كما ترتب الجزاء على الشرط فى نصرة الله للمؤمنين. ومن العجيب انك لو ناقشت مسلما أو كافرا فى هذه الحقيقة لاعترف بها ولكنهم لايعلمون، ولايعملون.. وويل لمن يعمل حينما يحتاج للعمل ولايستطيعه .. وحين يندم ولايجدى الندم...!

الكفر كله ملة واحدة :

(ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصركم والله يشهد إنهم لكاذبون (١١) لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لاينصرون (١٢) لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لايفقهون (١٣) لايقاتلونكم جميعاً إلا فى قرى محصنة أو من وراء جُدُر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون (١٤) كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وَبَال أمرهم ولهم عذاب أليم (١٥) كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين (١٦). سورة الحشر

هذا بيان لحال أعداء المسلمين جميعا منافقهم وكافرهم من أى ملة وانهم كلهم ينفقون فى عداء المسلمين وقد أثبتنا هذا المعنى فى مناسبة سابقة لكن ارشادات إلٰهية وردت هنا تهم المسلمين نلخص بعضها فيما يلى :—

١ ـ تعاطف أعداء الإسلام:

من الأمور المقررة فى كتاب الله التى صدقتها الأحداث والتجارب ان أعداء المسلمين من أى نوع يتفقون على الوقوف ضد المسلمين سرا وعلنا ولو كانوا أعداء فيما بينهم وشواهد ذلك كثيرة: تبدأ من موقعة الأحزاب ــ وتمر فى الحروب الصليبية الطاحنة التى غزت المسلمين فى فلسطين. والحروب الصليبية الغاشمة التى قتلت المسلمين فى الأندلس والحروب الصليبية المادية التى تغتصب فلسطين اليوم...

وذلك لانهم يعلمون حقيقة ادعائهم التدين وانهم ليس لديهم شىء منها يعمل به و يعلمون يقينا انه إذا ساد الإسلام فلن تقوم لهم قائمة، وسيذهب سلطانهم من الأرض. وقد بين الله تعالى انهم وان تواعدوا واتفقوا فلن يكون اجتماعهم ناجحا، ولن يكونوا جديرين بلقاء المسلمين والانتصار عليهم لما يعلم الله تعالى من حبهم للحياة الدنيا ولما فيهم من الخور والخوف وحب الذات أكثر من غيرهم. وحتى

لو اجتمعوا ودخلوا مع المسلمين الصادقين فى حرب فانهم سيغلبون وسينتصر المسلمون..

هذه حالتهم التى لا تتغير ولكن حينما يضعف المسلمون و يكون فيهم من صفات الكافرين أخلاق فانهم لايدركون هذه الصفة فى أعدائهم، وكلما تمكنت الصفات الرذيلة فى المسلمين كلما تخلفت هذه الصفة فى المشركين وكلما تخلفت النتائج بالنسبة للفريقين.

﴿الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون، لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لاينصرون﴾ فليس أبلغ ولاأصدق من هذا الوصف. ولو قيل لمنافق يدعى الاسلام انك يهودى لغضب ولو قيل له إنك نصرانى لتبرأ من النصرانية. ولو قيل ليهودى إنك نصرانى لتبرأ وغضب وصاح وناح، ولو قيل لنصرانى إنك يهودى لغضب وتبرأ من صفات اليهود قتلة الأنبياء

ولكن مصداق قول الله تعالى واقع وشاهد على كذبهم جمعيا. فقد قرأنا فى التاريخ العداء المستحكم بينهم وهانحن نراهم اليوم يتفقون حتى يبلغ اتفاقهم الى ان تبرىء الكنيسة اليهود من دم المسيح. وهنا يكون اليهود أصدقاء النصارى و يتعاطفون مع اليهود فى كل أحوالهم ضد المسلمين، والله على كل شىء قدير وهو العالم بما فى صدور العالمين.

شجاعة الكافرين

شجاعة الكافرين ووعيدهم تضمحل وتبطل عندما يرتفع صوت الحق فهى باطل له جولة قد تبدو ولكنها تزول سريعا. فهم جبناء مهما كانت لديهم القوة المادية والاختراع المتنوع لان هيبة المسلمين ورهبتهم متمكنة فى قلوبهم لا تزول أبدا .. وحبهم لأنفسهم يجعلهم بعيدين عن التضحية والفداء لذلك لايقاتلون إلا متحصنين بحصون يظنون انها تمنعهم وتدفع الأذى عنهم، و يقصدون من الحصون الوقاية والاطمئنان على النفس لانهم ليسوا على ثقه من

بعضهم فظهرهم جميعا لكن قلوبهم متفرقة متباعدة متباغضة لانهم لايقاتلون لهدف واحد وعلى طريق متحد بل هدفهم الاستعلاء والمادة فقط وقد وصف الله تعالى حالهم ووعدهم بالمساعدة للآخرين بانهم مثل الشيطان الذى يزين للناس الغواية والبعد عن الله فاذا أوقعه فى المعصية والعذاب تخلى عنه وقال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين.

ولذلك ماإجتمعوا أبدا ونجحوا وقد تكون هناك ظواهر يفهمها الناس انها حدثت من اجتماعهم وتناصرهم لكنها بتدبير العزيز الحكيم صادفت ذلك التجميع أو التهديد وباستعراض قرن من الزمن نجد انهم على طرفى نقيض مع أنفسهم ولم يحدث اجتماعهم الا فلتات نادرة لله فيها حكم كثيرة لان عباد الله الذين يرضى الله عنهم قد يبتليهم اذا عصوه أو أعرضوا عنه أو بعدوا عن طاعته والابتلاء يكون أحيانا بتسليط الأعداء عليهم. مع ان الله تعالى قد أعطى أمة محمد فضيلة وميزة على سواها بان خصها«بانه لايسلط عليها عدوا من سوى نفسها فيستبيح ببضتها..»

إن المسلمين فى نظرتهم للمحبة والبغضاء لايهتمون بالجنس ولا باللون ولا بالأرض ولا المادة ولكنهم ينظرون للعقيدة والايمان فلو أن يهوديا أو نصرانيا أو ملحدا آمن بالله وعمل بدينه لكان أخا للمسلمين من فوره له مالهم وعليه ماعليهم، وقد جب إسلامه ماكان عليه من العداء لحزب الله وانتهى الماضى و بدأ تاريخا جديدا وليس للمسلمين أهداف خاصة شخصية .. ولانعنى بالمسلمين أشخاصا أو جماعات معنية ولكن المسلمين هم الصادقون الذى يجاهدون فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا فى أى أرض وفى أى زمان ...

(لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لايفقهون، لايقاتلونكم جميعاً إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم، كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين).

ولعل البصير بالتعابير الالهية يدرك ان المخترعات الحديثة مثل الدبابات والطائرات من الحصون التى تورث الاقدام لدى الخائفين الهيابين لانه يعلم كيف يهجم على غره وتقيه آلته من هجوم الغير وكيف يطير و يرمى مامعه و يعود بدقائق محدودة .. والافخلقهم لايزول ولايتحول أبدا ..

وعلى المسلمين ان يفكروا بطريقة أخرى تخرجهم من حصونهم حتى يعود اليهم خلقهم و ينتصر المسلمون عليهم وهذا يكون فى اختراع أو حيلة يسلكها المسلمون وهو شيء ممكن جدا إذا صدق العزم وحسنت النية وطاب الهدف .. وماذلك على الله بعزيز.

موالاة غير المسلمين :

(ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما

أخفيتم وماأعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل (١) إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون(٢)) سورة الممتحنة..

١ ـ النصر والعز من الله وحده:

ينخدع بعض المسلمين بأعدائهم لأى سبب من الأسباب إما لتملقهم ومحاولة تقربهم من المسلمين لمصالحهم وأهوائهم، وإما لتعاون ظاهرى هدفه المادة، وإما لخدعة سياسية يصلون بها الى أغراضهم، وكل أهدافهم صد المسلمين عن دينهم، وإبعادهم عن المنزلة التى أراد الله لهم، فهم لذلك يلينون حتى يدركوا هدفهم والمسلمون قد ينخدعون بلينهم الظاهرى هذا وقد حذرهم الله تعالى ان يقعوا فريسة خديعة أعدائهم فيوالوهم أو يحبوهم أو يلينوا لهم لانهم اعداء لايتركون عداءهم مادامت صفة الكفر ملازمة لهم، وكراهة الحق من أخلاقهم، وبغض المؤمنين من سماتهم، وهذه صفات لاتجتمع مع المودة والموالاة فكيف يقبل

المؤمنون ادعاء أعدائهم الذين يتمنون زوال الايمان من قلوبهم وذهاب أهل الايمان الى غير رجعة والمؤمنون يخالفونهم فى كل صفاتهم فالمؤمنون يؤمنون بالله وحده و يعبدونه كما أمر ويجاهدون فى سبيله و يرخصون المال والولد والوطن فى سبيل الله .. وقد وعدهم الله الجزاء الأوفى من عنده فى الدنيا والآخرة ففى الدنيا تمكين وعز ونصر، وفى الآخرة جنات تجرى من تحتها الأنهار ولهم الحسنى برؤ ية الله تعالى وتفضيلهم على غيرهم.

فهل يليق بمثل أولئك ان يوالوا هؤلاء؟ وهل يجتمع الفر يقان؟ و يتحد الهدفان ان ذلك مستحيل الا فى الخداع واسرار العداء وابطان الشر والتغر ير ببعض قادة المسلمين؟ والا فانهم جميعا لايرقبون فى مؤمن الا ولاذمة ولايحترمون عهودا ولا مواثيق بل ينتظرون من المسلمين غرة لينقضوا عليهم. و بعد هذا توعد الله الموالين لاعدائهم ووصفهم بانهم ضلوا الطر يق السوى وتاهوا عن الجادة بهذا التصرف

المضاد الذى يكونون فيه بمركز الضعف ومنزلة المستجدى وأنه أراد لهم أن يكونوا قادة العالم ومرشدين للضالين فكيف يضلون. ولذلك فكل موالاة من المسلمين لغيرهم باطلة مرفوضة من الله ومن عباد الله المؤمنين المعتدلين.

ويجب ان تفهم الموالاة حتى لايردها بعض المسلمين دون تمحيص او اتهام لمن يدعو الى عدم المولاة ـ وحقيقتها محبتهم والاعجاب بهم وتفضيلهم على المسلمين والاستئناس بهم وحب العيش معهم والثناء عليهم.

وليست بحال من الأحوال التعامل معهم لمصلحة المسلمين الفردية والعامة وشراء الأسلحة منهم والبحث والاتفاق معهم على مافيه مصلحة المسلمين والتعامل معهم للتجارة والربح الحلال وهنا يكون الموضوع بيناً لا لبس فيه..

(ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليكم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان

كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليكم بالمودة، وانا اعلم بما أخفيتم وماأعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل).

٢ ـ المولاة الحقيقية:ـ

الحب فى الله والبغض فى الله حقيقة المولاة .. لايحب المسلمون أحداً إلا من أجل الله. ولايبغضون أحداً إلا طبقا لتعاليم الإله .. فالكفار أعداء لله فنحن لانحبهم والمؤمنون أولياء لله فنحن نحبهم. والكفار الذين لايحبون الله. قد أخرجوا رسول الله من مكة ونافروه وأبغضوه وآذوه وأستهزؤا به ... وحذروا المسلمين من أتباعه أو قبول ماجاء به فهذه صفاتهم، ومن كانت هذه صفاته فلا يحب بل يبغض ولا يوالى بل يعادى..

٣ ـ المجاهدون يجب أن يكونوا فى غاية الإيمان:ـ

لو ان المجاهدين أو بعضهم أو أفراداً منهم كانوا موالين للأعداء أو مائلين إليهم أو مسرين لمحبتهم أو التعاون معهم فإن ذلك

سبب لهزيمة المسلمين وتخلف النصر عنهم وعلى المسلمين الحذر من هذا عند ملاقاة الأعداء. ومن أسرّ ضد مايظهر فان الله عليم خبير بخفايا الأمور و بالنوايا لايحتاج إلى من يخبره ولكنه يعلم المسلمين ليأخذوا حذرهم من الضالين الموالين لأعداء الله وأعداء المسلمين .. وهم موجودون فى كل زمان ومكان. وهم سبب بلاء المسلمين فى السابق واللاحق..

٤ ــ على المسلمين عدم الاغترار بلين الأعداء:ــ

قد يلين أعداء الله لبعض المسلمين أو قادتهم أو مندوبيهم، و يعاملونهم معاملة يفهم منها قاصروا النظر أنها خلق حسن أو معاملة حسنة أو وفاء أو معرفة للمجاملات ونظام المقابلات.وهى خداع للمسلمين..فان الأعداء مهما أظهروا من اللين واللطف فهم كالحية ملمسها لين ولكنها معدة للسم لتقدمه الى من يلامسها لو أن الكفار ظفروا

بالمسلمين لأظهروا السوء والعداوة وآذوهم وسلبوهم مايملكون..وحاولوا المسلمين أن يتركوا دينهم و يكونوا على ملتهم..

فلا ينخدعن بهم المسلمون فهم على هذه الحال حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وهم كذلك مهما اختلف جنسهم أو دولتهم، أو مكانهم أو زمنهم. فالخلف أصل ثابت متمكن وهو الاختلاف فى العقيدة وهو خلاف لا تتخلف نتائجه..

وعلى المسلمين الحيطة التامة والتنبه الكامل حتى يسلموا من خداع أعدائهم.

ومصداق ذلك واضح فى أحوال العالم اليوم، وفى تعاملهم، واتفاقهم ومؤتمراتهم وجلساتهم.

اللهم اهدنا سواء السبيل .. وانصرنا على القوم الكافرين.

خاتمة

أ ــ والآن هل ننتظر حتى يصلح المسلمون أم نحارب أعداءنا....؟

الجواب: لكل عمل نتيجة وهدف. وبدون ذلك يكون العمل عبثا ويكون العامل عابثا...

وقد عرفنا من كل ماتقدم أن المسلمين إذا أرادوا النصر فلابد لهم من مراجعة أحوالهم، وإصلاح أنفسهم ومجتمعاتهم ...

وعرفنا أن المسلمين لايريدون الحرب لذاتها .. ولا القتال .. بل يدعون الله دائما أن يكفيهم القتال ..

إذاً يكون جماع الأمر أن يبدأ المسلمون بتهيئة أنفسهم وتربية شبابهم تربية صالحة وسيصلون للنتيجة المحققة للنصر ويكونون بذلك قد بدؤا ولم ينتظروا ...

وأطاعوا الله سبحانهُ وتعالى وساروا على نهجه .. ولن يترهم أعمالهم ....ولن يخلف وعده.......

ب ــ حرصت أن أورد كل الآيات القرآنية التى ورد فيها لفظ النصر وحيث انها تنقسم الى قسمين آيات ذات موضوع حربى يعالج الحرب والسعى فيها و يذكر النصر ... وقسم آخر ورد فيها لفظ النصر لكن يعالج موضوعات أخرى. فانى:

كتبت عن القسم الاول واستخلصت منه ماينـاسب موضوعنا ــ وهنا ساثبت القسم الثانى للحصر ولتمام الفائدة ... وسيكون على ترتيب السور.

١ ــ البقرة:

«واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ٤٨»

«اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلايخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون ٨٦»

«واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها

عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون ١٢٣»
«الم تعلم أن الله له ملك السماوات والارض ومالكم من دون الله من ولى ولانصير ١٠٧»
«ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى نتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير ١٢٠»
«ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب ٢١٤»
«لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ماكسبت وعليها مااكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا ربنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وأرحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ٢٨٦»

٢ ــ آل عمران:

«قد كانت لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى

سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم راى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولي الابصار ١٣»

«ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم (٢١) اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة وماهم من ناصرين،٢٢»

«لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لاينصرون، ١١١»

«وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ١٤٧»

٣ ـ سورة النساء:

«الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ٤٤ — ٤٥ »

«اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا، ٥٢ »

٤ ـ سورة الانعام:

«ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين، ٣٤»

٥ ـ سورة الانفال:

«واذكروا اذا أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعكم تشكرون،٢٦»

«ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير، ٧٢»

«والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم، ٧٤»

٦ ـ سورة التوبة:

«قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم

عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين(١٤) ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم (١٥) ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون (١٦)»

«الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون (٢٠) يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم(٢١) خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم(٢٢)»

٧ ــ سورة الحج:

«من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ ١٥»

«وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ٧٨»

«فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الأعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم ٣٥» سورة محمد.

٨ ـ سورة الفتح

«وينصرك الله نصرا عزيزا(٣) هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السماوات والارض وكان الله عليما حكيما (٤)»

«قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما (١٦) ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما ١٧»

«ولو قاتلكم الذين كفروا لو لوا الادبار ثم لايجدون وليا ولانصيرا (٢٢) سنة الله التى خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ٥٣»

٩ ـ سورة الحديد:

«لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس

شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز ٢٥»

١٠ــ سورة الحشر:

«للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون ٧»

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
ت: ٤٨٢٤٩٨٣ الدرعية
ت: ٤٧٨٨٥١٠ الملز



صدر عن
الجمعية العربية السعودية
للثقافة والفنون
إدارة الثقافة
هاتف : ٤٧٧٩٠٥٩
ص.ب ٣٦٥٩ - الرياض